صحيفة شهرية تعنى بالتاريخ السوري والعربي وتستعيد ذاكرة الصحافة العابرة للأجيال

* 16 صفحة *

العربي القديم

شعارها
عدو جدك ما يودك

* العدد الأول - تموز / يوليو 2023 *

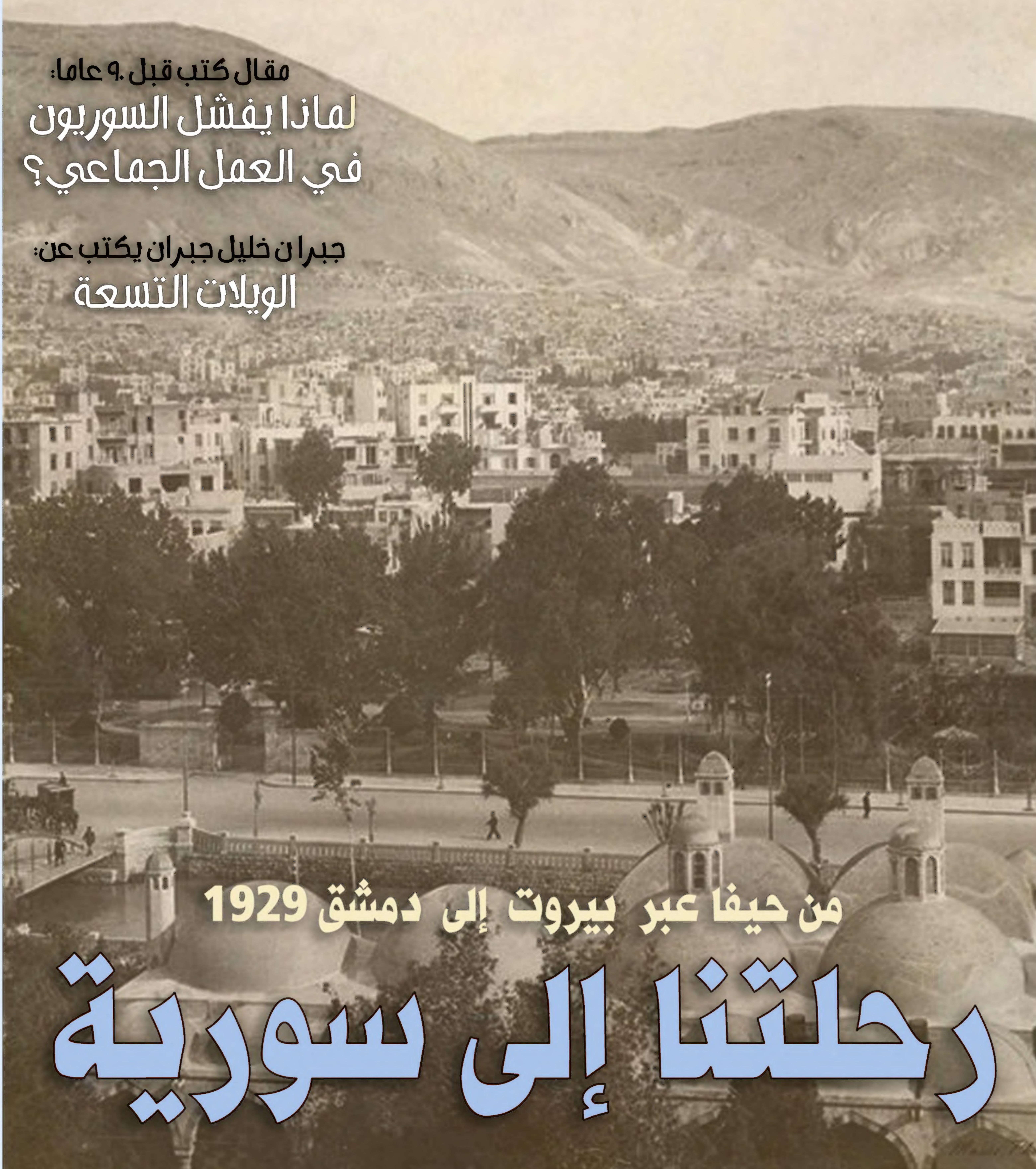
*Issue 1 July 2023 *



تفاصيل الكارثة المفجعة

اسمهان تموت غرقا مع وصيفتها

احمد سالم الجريح يقول سامحها الله



مقال كتب قبل ٩٠ عاما:

لماذا يفشل السوريون في العمل الجماعي؟

جبران خليل جبران يكتب عن:

الويلات التسعة

من حيفا عبر بيروت إلى دمشق 1929

رحلتنا إلى سورية

لعبة الأيام

العازل معزولاً



قد يكون أمرًا طريفًا أن يكتب سامي الجندي، السياسي والكاتب السوري الشهير (1921 – 1995)، عن الشاعر السوري الشهير هو الآخر بدوي الجبل (1903 – 1981) مقالاً ينطوي على مديح كبير يجيده السياسي، ويستحقه الشاعر. الطرافة تكمن في أن سامي الجندي، وهو أحد مؤسسي حزب البعث، كان عضوًا في مجلس قيادة الثورة والناطق الرسمي باسمه عشية انقلاب حزب البعث على الدولة والمجتمع السوريّيْن في 8 آذار 1963، وللطرافة أو لسخرية الأقدار، أن سامي الجندي هو الذي وقع قرار العزل السياسي بحق الشاعر بدوي الجبل!

وما يزيد الأمر طرافة، أو حزنًا، أن السياسي يدرك تمام الإدراك أثر شاعرٍ كبدوي الجبل في التاريخ؛ فعندما وقع القرار عرف أن ذلك قد يُدخله التاريخ من بوابة ضيقة جدًا، عبر "شطر شعري" قد يهجوه فيه الشاعر، فيضعه في منزلةٍ واطئةٍ لا خروج منها إلى الأبد، إلا أنه مشى مع "القطيع البعثي" وفق ما تفرضه السياسة، لا الضمير الشخصي!

لكن الأمر يتعدى، في حقيقته وفي العمق، الطرافة، ويتحدد بكونه هجاء سياسيًا لحزب البعث من أحد كبار مؤسسيه الذي عاين بضمير يقظ ووعي سياسي مبكر التجلّيَ الفاشي لهذا الحزب منذ لحظة استيلائه على السلطة. لقد جعل الجندي من ذلك الهجاء نهجًا كتابيًا وسلوكيًا ظهر بأبهى صوره وأكثرها رسوخًا في كتابه "البعث" (1969). يتعدى الأمر ذلك أيضًا ليكون تحذيرًا مبكرًا للسوريين من هول ذلك الانقلاب على حياتهم السياسية والعامة والشخصية! وقد تأكد حجم ذلك الهول على نحو وحشي بوصول حافظ الأسد إلى السلطة (1970). وصار جليًا الآن، أن السوريين تأخروا كثيراً في الإصغاء إليه، ما أدى إلى كارثة غير مسبوقة حلّت بهم، ولم تزل مستمرة حتى يوم الناس هذا.

وكما تأذّى بدوي الجبل من حكم البعث، تأذّى سامي الجندي أيضاً. فقد أزعجت انتقادات الجندي المستمرة رفاقَه في الحزب، خاصة في "اللجنة العسكرية" ذائعة الصيت وسيئته، فاتخذت قراراً بنفيه خارج البلد، وتم تعيينه سفيراً في فرنسا (1964-1968)، وعندما عاد إثر هزيمة 1967 اعتقله "الرفاق" وأودعوه سجن القلعة بدمشق (1968). بعد ذلك غادر سوريا، ولم يُسمح له بالعودة إلا عام 1982، عودة مشروطة بالصّمت السياسي.

إثر نكسة حزيران كتب بدوي الجبل قصيدته الشهيرة "من وحي الهزيمة"، هجا فيها صنّاع الهزيمة ورموزها هجاء شديداً، فتم اختطافه عام 1968 لعدة أيام تعرض خلالها لتعذيبٍ سيؤثر على صحته حتى وفاته. وقد اتُّهم حافظ الأسد، وزير الدفاع آنذاك، بتدبير ذلك. لاحقاً عام 1992، اغتال النظام ابنه الإعلامي منير الأحمد لأسباب سياسية. وبعد سنة اغتال كذلك أخيه "المنشق عن النظام" أحمد سليمان الأحمد. وهكذا صُفّيت عائلة الشاعر بالكامل إما اغتيالاً مباشراً، أو موتاً "مفاجئًا في ظروف غامضة".

خضر الآغا

سامي الجندي يكتب:

منفى بدوي الجبل



بدوي الجبل



سامي الجندي

عندما صدر مرسوم عزله السياسي ضحكت وأوغلت في الضحك فسألني صديق: لم؟ قلت: ما أبشع ألا يذكرني التاريخ إلا بشطر يهجوني فيه، أو بعض شطر!

جاء هذه الأرض قبل ألف عام وبعد ألف عام،

كتب عليه المنفى , يضل كطفل لاجئ بلا خيمة ، سعادته وشقاؤه يكمنان في هذا الضلال.

يضل حائراً يهم بقدمه أن ترسة في مرفأ على الأرض ، ولكن أشواقه جردت يديه من شراسة التشبث فيما تطيقان ، ما تطيقان أن تطبقا على متاع ، إذا صافحته فلامست يده ، أحسست أنك تمسك بزغب طائر وليد، غرير، غريب حتى على عشه.

نقف وراء أحداث حياته ، فما تتجاوز السطح والتعليل العادي ، ونلم بحكمة أسفاره ورحيله، ما إن تتأمل قدره ورسالته حتى توقن أنه جاء حين ما ينبغي له أن يجيء، وأنه في منفى وأننا منفاه.

كلما زرته أو عدته ثقل على إحساس أننا عذابه، أني بعض عذابه، فليس بيني وبينه علاقة تربطني بألف عام خلت وألف عام مقبلة.

عندما صدر مرسوم عزله السياسي (1) ضحكت وأوغلت في الضحك فسألني صديق: لم؟ قلت: ما أبشع ألا يذكرني التاريخ إلا بشطر يهجوني فيه، أو بعض شطر.

مهما جهدت في تصوير مرارتي وأنا أمهر المرسوم بتوقيعي لن أستطيع، كان قرار أكثرية، والسياسة تفرض على السياسي أن يكون دائماً من القطيع ضد رؤاه: تلك تلك هي حكمة المرحلة التاريخية.

ضحكت وتشاءمت ، ذلك أني أدنت نفسي بأني أهنت مستقبلاً من ألف عام ، الومضة الكبرى الغنية بالتفاؤل.

أمام زحمة الأحداث، الآخذ بعضها برقاب بعض، يبحث المتأمل عن الأصالة لأنها دليل الحياة الحقيقي، فلا يجد إلا مواهب دعية ليست على قد التاريخ، كل التقدم الذي أوهن الحديث عنه كاهل الحبر والورق لا نجد فيه غير استمرار لعصور التخلف، وما نراه من ازدهار ليس سوى حجاب شفاف غير قادر على أن يخفي ما يبديه الواقع الحقيقي ، ذلك أن طبيعة الإنسان ، شخصيته، لم تتبدل، رؤيته هي هي – رؤية عبد أفقه محدود لا عطاء في أعماقه ولا صوفية في إيمانه، لا عمق.

إن الموهبة الكبيرة هي وحدها التي تدحض التشاؤم وتنبئ أن المرحلة ، على فقرها ، غنية بوعد ، عصر النهضة بدأ بألوان الرسامين ، في ابتسامة الجوكندا ، صوفية قصيدة ، فيها مستقبل حضاري وأصالة تدل على أن الحياة قد بدأت تعلن عن وجودها فرحاً ينبثق من قلب اليأس، فينفصل عن المرحلة كأنه ولد بعدها بألف عام.

هنا يكمن سر الغربة ، هي افتراق في النوع والماهية ، صلة الشاعر بالمرحلة أنه ولد فيها كي يحمل عن خلفها عناء قنوطهم وشعورهم بعبث وجودهم ، يفتح عيونهم على بصيص إنساني ، هو فيهم ولكنهم كعميان "بودلير" تظل عيونهم المنطفئة معلقة بالسماء دون جدوى، يشدهم تألقه إلى أنواره فيحارون في هذا الغريب، من أي طين هو: وحل الرعاع أن نور سماوي؟

رزؤه أنه نفسه يحار في نفسه ، من هو ؟ ما هو ؟ أين مكانه ؟ أين يضع راسه ؟ على السماء أم على الأرض ، تدفعه حيرته إلى إحساس مر تارة، فرح تارة بأنه آخر...

لأنه يريد أن يرفل العالم معه بنعمى الرؤيا وسعادتها فلا يطيقون، فرح لأنه وجد اللعبة التي يلهو بها حتى تتعثر قدماه على سبيل الحياة ، فينجو بنفسه إلى أبدية هو منها رغم قيود الجسد.

ذلك هو منفى البدوي ، تؤرقه الكلمة قلقاً يبحث عن ظاهرة، حدث سياسي أو رجل ، فيوشيها بقوافيه فينقسم البشر معه وعليه، يقيسونه بقيمهم فيقسون عليه ويطاردونه ليفر وراء الحياة يبحث عن مأوى يريح عليه رأسه ، ولكنه بدوي ، ما أن يرسي خيمته على شاطي بحيرة ليمان حتى يلم به عشقه القديم إلى دمشق:

يا شام يا لدة الخلود — وضم مجدكما انتساب
من لي بنذر من ثراك — وقد ألـــح بي اغتراب

حياته رحيل : طواف في العالم وحول نفسه كأنما تلاحقه نبوءة خفية لم يدركها الذي لقّبه بها ، فقد لمح فيه أماثر العصاة ، عصيانه أنه رفض دون اختيار منه ، رفضاً قدرياً ، مرحلة فقيرة بالفروسية لا يعلو عليها لأنه يحبها بكل وعنائها ، لا ينخفض عنها لأنه أبعد أفقاً منها ، إنه فقط آخر بدوي يضل فيها ، بدوي جبلي منحه الجبل المطل على البحر المتكبر عليه ، كبر الفنان الذي تسمو به أنواره إلى الملأ الأعلى ليدل على الله بما خلق .

هيئت في سريرتي لك ربي — سدرة المنتهى وطاب النزول
نشارك الله ، جل الله ، قدرته — ولا نضيف بها خلقاً وإتقاناً
وأين إنسانه المصنوع من حمأ — ممن خلقناه أطياباً وألحاناً
ولو جلا حسنه إنسان قدرتنا — لودّ جبريل لو صغناه إنساناً

يصعد إلى السدرة بسريرته ومعانيه صوفي الجناح، فتتألق روعته ويكمل مجده ، ولكنه بين الصوفيين أيضاً آخر .

لقد ألم الدوار بجلال الدين بعد أن دار حول نفسه وسقط أرضاً وعلى الأرض رأى، ثم ركع بين يدي الله واعترف بعبوديته له وفرح بأنه عبد إلى الأبد، مسرته أغلاله ولو أنها من نور، وأحبت رابعة حبين:

أحبك حبين حب الهوى — وحباً لأنك أهل لذاك

وذابت في شوقها حتى ما عادت هي هي!

وأحرقت أشواق الحلاج وأنواره جسده حتى لقد استغاث بمعذبيه كي يقتلوه ، لم يطق ناره ، لم يستجر ، لم يطق انتظار الساعة التي يكون فيها "أنا"

إن مت يا قوم يوماً بينكم — لست ذا الميت والله أنا

ورأى البدوي الضال في صحرائه سراباً يحفل بالنور والحنان حباً كأنه جاءه من عليين يحنو عليه بنشوة السقيا.

ألا يمل السراب الغمر وحدته — ألا يحن إلى نعـــمى تنديه
هيمان لهفان لا مأوى لوحشته — قلبي الذي وسع الأكوان يؤويه
أبكي لبلواه (.......) ومغفرة — روح الألوهة روحي حين أبكيه

كأني به طفل ضال ، والشعراء أطفال لأنهم دائماً على أهبة الدخول إلى ملكوت الله ، ضال في بيداء يلهو بالسراب نحو العشاق فيلهو به السراب لهو غوايات ، فيمرح ويعلو على الخلق بغواياته ، يغريه أنه مولع بالذنب ، يرجو لنا أن نحرق أصابعه فيؤرب إلى نفسه فرحاً بأصابعة المحروقة ، يرتكب الإثم لأنه جميل متميز عن السطح.

من الغرابة سلسلنا هدايتنا — فكان أرشدنا للنور أغوانا

يحب آثامه لأنها بعض من نوره ، تحرضه حتى يتألق فيأنس بنار موسى ويرى ما رأى ابن القارض الذي زعم أنه "موسى قومه ":

إن آنس النار بالوادي فقد شهدت — عيني من اللهب القدسي نيرانا

والفن ومضة من النور الإلهي يلم بها عابد أصيل.

شهدت النار التي احترق بها الحلاج بداية عصور التخلف فقد كان هو بداية اليأس . وقد يقول كاتب بعد ألف عام إننا كنا نعيش بداية الأمل في شعر هذا المنفى بيننا: البدوي.

هامش:

(1) مرسوم العزل السياسي: مرسوم أصدره البعثيون غداة انقلاب الثامن من آذار عام 1963 الذي استولوا فيه على السلطة وطبقوه على كبار الشخصيات الوطنية السـورية بتهمة معادة الوحدة، وكان بدوي الجبل من بينهم. (العربي القديم)

مجلة (شعر) اللبنانية - كانون الثاني/ يناير 1969



جبران خليل جبران يختصر وجع الشرق:

الويلات التسع

جبران المُلهم يبقى معاصرا.. نصوصه وأفكاره تختزل مأساة ســورية ولبنان وأوجاع الشرق

الويلات التسع

1- ويل لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب وعن الحقل إلى الزقاق وعن الحكمة إلى المنطق

2- ويل لأمة تلبس مما لاتنسج وتأكل مما لا تزرع وتشرب مما لاتعصر

3- ويل لأمة تكره الضيم في منامها وتخنع إليه في يقظتها

4- ويل لأمة لاترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ولاتفاخر إلا إذا وقعت في المقبرة ولاتتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع

5- ويل لأمة مغلوبة تحسب الزركشة في غالبيها كمالا والقبيح فيهم جمالا

6- ويل لأمة سياستها ثعلبة وفلسفتها شعوذة أما صناعتها فبالترقيع

7- ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير وتشيعه بالفحيح والصفير لتقابل فاتحا" آخر بالتطبيل والتزمير

8- ويل لأمة عاقلها أبكم وقويها أعمى ومحتالها ثرثار

9- ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة

الجبابرة

نحن الآن في زمن أصغر صغائره أكبر من كبائر ما تقدمه، فالأمور التي كانت تشغل أفكارنا، وأميالنا قد انزوت في الظل، والمسائل، والمشاكل التي كانت تتلاعب بآرائنا، ومبادئنا قد توارت وراء نقاب من الإهمال، أما الأحلام المستحبة، والأشباح الجميلة التي كانت تَمِيْس متنقلةً على مسارح وجداننا، فقد تبددت كالضباب، وحلَّ محلها جبابرة تسير كالعواصف، وتتمايل كالبحار وتتنفس كالبراكين.

وما عسى أن يصير إليه العالم بعد أن تنتهي الجبابرة من صراعها؟

هل يعود القروي إلى حقله فيلقي البذور حيث زرع الموت جماجم القتلى؟

هل يقود الراعي مواشيه إلى مروج مزقت أديمها السيوف، ويوردها مناهل يمتزج ماؤها بنجيع الدماء؟

هل يركع العابد في هيكل رقصت فيه الشياطين، ويردد الشاعر قصائده أمام كواكب حُجِبَتْ بالدخان، وينغم المنشد أغانيه في ليل عانقت سكينته الأهوال؟

وهل تجلس الأم بجانب سرير رضيعها مرتلةً بالهدوء أغاني النوم، وهي لا ترتجف وَجَلًا مما سيجلبه الغد؟

هل يلتقي الحبيب بحبيبته ويتبادلان القبل حيث التقى العدو بعدوه وتبادلا القذائف؟

وهل يعود نيسان إلى الأرض، ويستر بقميصه أعضائها المكلومة؟ ليت شعري! هل يعود نيسان إلى الحقول؟

هل تبقى سورية مطروحةً بين مغائر الذئاب وحظائر الخنازير... وهل يطلع الفجر فوق قمم لبنان؟

ما بنتْه الأجيال بالعلم والفن هدمه الإنسان الوحشي بالطمع والأنانية، فحالنا اليوم حال سكان الكهوف، ولا يميزنا عنهم سوى آلات نبتدعها للدمار، وحين نستخدمها للهلاك؟

وماذا عسى تصير إليه بلادكم وبلادي؟ وأي من الجبابرة يضع يده على تلك التلال والهضبات التي أنبتتنا، وصيرتنا رجالًا، ونساء أمام وجه الشمس؟

هل تبقى سورية مطروحةً بين مغائر الذئاب، وحظائر الخنازير، أو يا ترى تنتقل مع العاصفة إلى عرين الأسد، أو ذروات النسر؟ وهل يطلع الفجر فوق قمم لبنان؟

كلما خلوت بنفسي أطرح عليها هذه السؤالات، غير أن النفس كالقضاء تبصر، ولا تتكلم وتسير، ولكنها لا تلتفت، فهي ذات عيون تتجلى، وأقدام تتسارع، أما لسانها فثقيل.

ومن منكم أيها الناس، لم يسأل نفسه في كل يوم وليلة عن مصير الأرض، وسكانها بعد أن تختمر الجبابرة من دموع الأرامل والأيتام؟

أنا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء، وفي عرفي أن هذه السنة تتناول بمفاعيلها الكيانات المعنوية بتناولها الكائنات المحسوسة، فتنتقل بالأديان، والحكومات من الحسن إلى الأحسن، انتقالها بالمخلوقات كافة من المناسب إلى الأنسب، فلا رجوع إلى الوراء إلا في الظاهر، ولا انحطاط إلا في السطحي.

ولسنة الارتقاء سبل متشعبة يتفرع بعضها من بعض، ولكنها متلازمة الأصول، ومظاهر قاسية ظالمة مظلمة تنكرها الأفكار المحدودة، وتتمرد عليها القلوب الضعيفة، أما خفاياها فعادلة منيرة متمسكة بحق أسمى من حقوق الأفراد، مُحدِقَةً بغرض أعلى من مرام الجماعة، مُصغيةً إلى صوت يغمر بهوله، وعذوبته تنهدات المنكوبين، وغصَّات المتوجعين.

حولي بكل مكان أقزام يرون عن بعد أشباح الجبابرة متناضلين، ويسمعون في المنام صدى تهاليلهم، فيضجعون كالضفادع قائلين: قد رجع العالم في فطرية الوضيعه، فما بنتهُ الأجيال بالعلم والفن قد هدمه الإنسان الوحشي بالطمع والأنانية، فحالنا اليوم حال سكان الكهوف، ولا يميزنا عنهم سوى آلات نبتدعها للدمار، وحين نستخدمها للهلاك؟

هذا ما يقوله هؤلاء الذين يقيسون ضمير العالم بمقياس ضمائرهم، ويحللون مراد الوجود بالفكرة القصيرة التي يستخدمونها؛ لحفظ وجودهم الفردي، فكأن الشمس لم تكن إلا لتدفئتهم، وكأن البحر لم يوجد إلا لغسل أرجلهم.

عن كتاب (العواصف) 1920



من حيفا إلى دمشق عبر بيروت صيف عام 1929

رحلتنا إلى ســـورية

بقلم: عبد الله القلقيلي

صاحب جريدة (الصراط المستقيم) التي تصدر من يافا

-1-

بدا لنا افتراص أيام العيد لقضائها في سوريا. وذهبنا إلى حضور حفل تأبين السيد عبد الفتاح السعدي ومن ثم يمّمنا سوريا، نحن والأستاذ الشيخ عيسى أفندي أبو الجبين.

لم نكن قد وقّعنا على جوازيْ سفرنا من قنصلية يافا، فالتمسنا ذلك في قنصلية حيفا. عرّف بنا سعادة رئيس بلدية حيفا وحضرة مساعد مدير شرطة حيفا تيودر أفندي عبود، فاستأذنتْ القنصلية حضرة قنصل يافا فأذن فوقّعت، وأعفتنا من الأجرة. فنحن نشكرها كما نشكر لحضرة سكرتير قنصلية حيفا الخواجة مدوّر، تلطفه في قضاء حاجتنا.

ركبنا السيارة إلى بيروت بأجر زائد عن المعتاد لأننا غرباء، والغريب يزاد عليه ويغرر به عند سماسرة السيارات وسواقيها في حيفا وبيروت.

عدت بنا السيارة حتى بلغنا حدود فلسطين في المكان المعروف برأس الناقورة، فوقفنا وسؤلنا جوازاتنا فأبرزناها ودفعناها للموكل بذلك، ثم رُدت إلينا واستأنفت السيارة السير فلم تسر غير بعيد حتى انتهينا إلى نقطة الحدود السورية فوقفت بنا السيارة، ومن ذلك المكان أخذنا نرى العيون المتفجرة والجداول المنسابة، والمزارع والحدائق والبساتين المتصلة مما يشرح الصدر ويبهج النفس. ومما كان يعجبنا أن شاطئ البحر أراض زراعية سوداء جبلية على غير ما نعهد في شاطئ البحر عندنا، إذ كله رمال جرداء. وقد كنا نرى في طريقنا الدورية من الشرطة بعد الدورية، ليس بين النفر منهم والآخر كبير مسافة. ولم نسر غير بعيد حتى صرنا نمر بعُرَش قد اتخذت مقاهي في منتزهات متتابعة، وأظن أن هذه العُرش من مخلفات عصر العربات والقوافل التي كانت لها مستراحاً ومبيتاً.

كان مسيرنا في أراض متشابهة إلى أن انتهينا إلى ضواحي بيروت الفسيحة المنتشرة التي قضت السيارة زمنا طويلا تعدو خلالها، وأدرك شهريار الصباح.



رحلتنا الى سورية

ركبنا السيارة إلى بيروت بأجر زائد عن المعتاد لأننا غرباء، والغريب يُغرر به

يغش خدّام الفنادق في بيروت النازل في السعر، سواء فيما يتقتضيه من الفندق أو غيره

-2-

أتينا إلى بيروت وعهدنا ببيروت بعيد، فقد أتيناها قبل الحرب بسنة أو سنتين لدخول مدرسة المعلمين فيها، فرأيناها قد تبدلت فلبست ثوباً قشيبا وازداد بها الازدحام واستبحر العمر، حتى رأيناها تضاهي مدينة القاهرة في ميادينها وشوارعها وترامها وكثرة سياراتها، وقد يُداس من لا يسير متيقظاً. وقد كنا سألنا مدير السيارة أن ينتهي بنا إلى فندق نظيف شريف وكنا مخطئين في التعويل على مدير السيارة لاختيار فندق، لأن هؤلاء إنما يختارون من يجزل لهم أجر السمسرة.

ومن القبيح في خدم الفنادق أنهم ينزلون القادم لأول مرة أطيب منزل، بل هم أشبه بكثير من التجار الذين يبدءون بتقديم السلعة الرديئة فيكون ذلك سبباً في النفرة والانقباض والتطير.

رأينا هذه الفنادق ينقصها كثير من الوسائل الحديثة التي أصبحت بمنزلة الضروريات مثل التليفون. وقد سألنا الخادم: لمَ يخلو الفندق من التليفون؟ فقال: لأن أمر التليفونات في يد الجيش، فلا يجد المتكلم في التليفون غير الفشل وليس من ورائه غير الخسران. وبسبب ذلك تعذر علينا كثير من الحاجات.

ويغش خدّام الفنادق النازل في السعر ، سواء فيما يتقتضيه من الفندق أو غيره، وأذكر على سبيل المثال أننا سألنا أحد خدم الفندق العربي: بكم رطل الخيار؟ فقال: بأربعين قرشاً سورياً. فاستغربت ذلك وعلمت فيما بعد أنه باثني عشر قرشاً سورياً. وليس في غرف تلك الفنادق على الغالب أجراس فإذا أراد النازل استدعاء الخادم خرج يفتش عنه ويهتف به، وقد حاسبنا على ورقة سورية كل ليلة، فلما علم بذلك بعض أصحابنا، استنكر ذلك وقال انه يأخذ من غيركم النصف.

وبالجملة أنه قد ثبت لنا أن السوقية ومن شابههم من أصحاب الفنادق وسماسرة السيارات يغالون في الأسعار على الغرباء

ويغشونهم ويحتالون عليهم، فنحن نوجه نظر حكومة لبنان إلى وضع حد لتلاعب أولئك الطماعين حتى لا يكونوا سبباً في نفرة الناس من تلك البلاد. ولا نظن الحكومة إلا حريصة على إزالة العلل المنفرّة، وقد ظهر لنا أنه لولا الغرر في الأسعار لكانت الأسعار في بيروت دون ما يجده الغريب كثيراً. وعلى أية حال فإن الأسعار في لبنان وسوريا أرخص منها في فلسطين، وأكثر أسباب ذلك يرجع إلى زيادة المكوس والضرائب والرسوم في فلسطين. وأدرك شهرزاد الصباح.

-3-

كان من حسن الاتفاق أن التقينا في بيروت بحضرة سامي بك البكري ومعه زكي بك الدروبي، وبعد السلام دعانا بك إلى دمشق فقلنا إننا عازمون على ذلك، وأخبرنا أن سعادة نسيب بك أخيه في بيروت منذ مدة، وبعد أن علم منزلنا وعدنا بأنه سيزورنا. فبقيما نحن في الفندق حين الظهيرة، وإذ بخادم الفندق يدعونا إلى قاعة الاستقبال، فإذا سامي بك وزكي بك الدروبي وبعض الأدباء من أعضاء نادي الكشاف الرياضي هناك، ولم يلبث أن جاء نسيب بك ومعه عارف بك النقيب، وبعد السلام دعونا إلى الغداء في منتزه يقرب من نهر الكلب.

لقينا من الجميع غاية الاحتفاء فخرجنا معهم في السيارات إلى هنالك، فلما وافينا المنتزه وهو سفح جبل تتفجر فيه العيون وتجري من تحته الأنهار وتظلله الأشجار، وهنالك منزل وحانوت فيه ما شئت من طعام وفاكهة. وقد مكثنا هنالك ساعات انتعشت فيها نفوسنا وانشرحت صدورنا، وزاد في ذلك ما كنا نراه من لطف آل البكري ورفاقهم الكرام وبشاشتهم وإيناسهم، وقد رأينا كتابة قد نقشت في الصخر، بعضها ذكر لعبور الجيش الفرنسوي قديماً، وبعضها لعبور الجيش الإنكليزي أخيراً، وهي على شكل ألواح منحوتة في الصخر.

ثم عدنا إلى بيروت وافترقنا على وعد قاطع بأن نذهب إلى دمشق، وكان سامي بك يريد أن نذهب معه ولكن اعتذرنا له بالإشغال. لم نتمكن من رؤية شيء يذكر لضيق الوقت، وقد كنت سائراً في إحدى الشوارع التي تسلك إلى قهوة الحاج داود، فرفعت بصري، فرأيت لوحاً كتب فيه (جريدة الأحرار) فرأيت أن أمر بهذه الجريدة فصعدت إلى الإدارة فدخلتها، وعرفت بنفسي. وأُشيرَ لي إلى مكان الأديب جبران أفندي التويني فقصدته، فنهض ورحب وفرغ لي من عمله المتراكم، واحتفى بي مما أشكره عليه، وقد دار بيني وبينه حديث وكلام عن الأمير جورج لطف الله، فكان مما قلته: أظن ان الحكومة الآن تعاكسكم لأنكم كنتم تدعون إلى الأمير جورج. قال: نعم كثيراً وقد دعيتُ منذ أيام فأنذرت شفاهياً، ولكني أجبت بأني مقيم على خطتي ولتفعل الحكومة ما أرادت. ثم قال: سامح الله الأمير جورج لقد أضاعنا وأضاع نفسه وذلك بركونه إلى بطانة سوء غشته. وكان مما قلته له أن قضية مناصرتي لآل لطف الله قديمة، وذلك أنني حينما كنت في مصر عرفت فيهم نزعة عربية وطنية، وميلا إلى البذل في سبيل القضية. وقد علمت أنهم بذلوا وما يزالون يبذلون كثيراً ويتعبون ويعلمون، على أن أمثالهم من الأغنياء مصروفون إلى الملذات والملاهي وغاية ما يتهمهم به خصومهم أنهم يرومون من عملهم المنصب، وهذا لا نراه عيباً. ونحن نؤثر رجلا عرفنا له في القضية العربية مساعٍ كالأمير جورج مثلا، على رجل لم نسمع باسمه في كريهة مثل شارل دباس فوافق على ذلك.

وقد ذكر الزميل أن من أسباب الفشل قلة الانتظام، فقلنا نعم. ومن أعجب شيء أننا كنا نكتب المقالات الطويلة دفاعاً عن الأمير جورج، فما جاءنا منه مرة كتاب شكر أو مقالة من ديوانه، فلولا أننا نعمل للمبدأ فقط لانقلبنا وفترت عزائمنا. وقد سألنا الزميل عن أحوال فلسطين والإدارة فيها، فقلنا له أنها أسوأ إدارة، وأنكم أحسن حالا منا. وقد رأينا أنه في حاجة إلى العودة للعمل فودعته شاكراً وانصرفت. و(جريدة الأحرار) هي أكبر جريدة في لبنان وأغزرها مادة وأوسعها انتشاراً، وهي أقرب إلى الاعتدال والتوسط من سواها.



الاشتغال بالحركة الوطنية يظهر في دمشق أكثر منه في بيروت. ويجد الأديب والسياسي الغريب في دمشق من يفاوضهما ويطارحهما بسهولة، أما في بيروت فلا يتيسر ذلك.

يمكنك أن تعيش في دمشق بثلث ما تعيش به في فلسطين وهذا ليس لأن تلك البلاد أغنى من فلسطين ولكن لأن الضرائب والرسوم فيها أقل

للصحافيين لدى الحكومة في دمشق حرمة ومكانة وإكرام، فالصحفي يكاد يُباح له أن يدخل على رئيس الدولة بلا إذن

-4-

رأينا أن المقام لا يتسع للتطويل في الكتابة عن رحلتنا إلى سوريا، ولذلك رأينا أن نختصر ونكتب عنها كمذكرات وسوانح وخواطر.

جئنا دمشق سالكين طريق بيروت، وهي طريق طويل تصعد في جبال لبنان المكللة الهامات بالسندس الأخضر، وتهبط في مروج خضراء ذات حدائق غناء، تجري فيها الجداول والأنهار تبهج السائر وتقر عين الناظر. دمشق بلد عربي وهي كغيرها من المدن الشرقية قسمان قديم وىخر حديث. والقسم الحديث أيضاً على الطراز الشرقي، وترتيب دورها شبيه بترتيب الدور المصرية.

والاشتغال بالحركة الوطنية يظهر في دمشق أكثر منه في بيروت. ويجد الأديب والسياسي الغريب في دمشق من يفاوضهما ويطارحهما بسهولة، أما في بيروت فلا يتيسر ذلك إلا بعد زمن.

الازدحام في شوارع دمشق أقل منه في بيروت. والحق أن دمشق إحدى جنان الدنيا المعدودة. الأسعار في دمشق أرخى منها في بيروت، والنقد المتعامل به في الشام هو النقد العثماني الذي كان يتعامل به قبل الحرب، أما في بيروت فنقود جديدة. ويمكننا أن نقدر أن كلفة المعيشة في دمشق ثلث كلفة المعيشة في فلسطين. ويمكننا أن نقدر أن كلفة المعيشة في دمشق ثلث كلفة المعيشة في فلسطين من غير مبالغة. نعني أنه يمكنك أن تعيش في دمشق بثلث ما تعيش به في فلسطين، وهذا ليس لأن تلك البلاد أغنى من فلسطين والعمل فيها أقل، لأن الأمر على العكس ولكن لأن الضرائب والرسوم فيها أقل.

الحكومة فيها وطنية لا ترى فيها موظفاً أجنبياً. وهناك دار الحكومة قد رفع فيها العلم السوري، وقد ذهبنا إليها فكان مما أعجبنا أن الأذان ما يزال يقام فيها. ليس في دار الحكومة التي هي مقر رياسة الدولة الفرنسوية غير مستشاري الوزارة.

وما تفضُل به الحكومات الوطنية الحكومات الغريبة سهولة الحجّاب، فإن الإنسان إذا أراد أن يزور وزيراً، بل رئيس الدولة، ما هو إلا أن يبعث إليه باسمه فيؤذن له؛ أما في فلسطين فإن العظيم منا لا يحظى بشرف المثول أمام حاكم المقاطعة الإنكليزي، إلا بعد أن يكتب إليه ويبين له الغرض من لقائه، وينتظر حتى يأتيه الجواب بتعيين يوم. وقد ينسى سعادة الحاكم الوقت المعيّن فيصرف طالب المقابلة الساعات على باب سعادته، حتى يأتيه اعتذار الحاكم بأنه قد نسي. وقد يكون ذاكراً ولكن جاءته (مس مسز) فانشغل بها وترك صاحب الحاجة (يرن).

وللصحافيين هناك لدى الحكومة حرمة ومكانة وإكرام، فالصحفي يكاد يُباح له أن يدخل على رئيس الدولة بلا إذن. وتعطي الحكومة الصحف إعانة مالية كبيرة، وتبيح للصحفيين ركوب الدرجة الأولى في القطارات مجاناً. وأجرة البريد هناك على العشر منها في فلسطين، إلى غير ذلك من المزايا. وقد وازنّا بين كلفة الصحف في فلسطين وكلفتها في دمشق، فرأينا أن جريدة نصف أسبوعية كجريدتنا في فلسطين تكلف كجريدة يومية في دمشق.

وعلى سبيل المثال لصعوبة الحجّاب على الصحفي في فلسطين نذكر واقعة. ذلك أننا أردنا مقابلة حاكم المقاطعة ذات مرة نسأله عن نبأ هام لا يمكن أخذ حقيقته إلا منه، فلما طلبنا مقابلته أرسل إلينا من يقول: قابل القائمقام فلان.

ذهبنا إلى القائمقام وقلنا: بلّغ سعادة الحاكم على لساني، أنه ينبغي أن يفرق بين صحافي يريد أن يسأله عن أمرٍ ذي بال، وبين طالب رخصة لقهوة. وقد كنا نحب أن يكون القائمقام الوطني مثلكم غنى، ولكن لم يجعلوا في أيديكم شيئاً ولا يعطونكم علم شيء. على أن الصحافة في فلسطين عليها أكبر اللوم، فإنها يجب أن تعلّم الموظفين الإنكليز احترامها ومراعاة حقها. ومن لا يُكرم نفسه لا يكرّم.

نشرت على أربع حلقات في صحيفة (الصراط المستقيم)

نصف الأسبوعية التي تصدر من يافا: حزيران/ يونيو 1929

القضية


السنة الاولى

الجزء الرابع

الثقافة

مجلة شهرية جامعة

يصدرها

خليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستاني وكامل عياد

دمشق في ٥ تموز ١٩٣٣ — ١٣ ربيع الاول ١٣٥٢

عمل الجماعات في سورية

لقد اصبح من المعروف حتى بين عامة الناس في سورية ان كل عمل تقوم به جماعة او شركة او رهط من السوريين مصيره في الغالب الى الفشل ومن المعروف ايضاً ان اكبر الاعمال واعظم المشاريع في الغرب قلّ ان يقوم بها الا جماعة اشترك افرادها في العمل واتحدوا عليه سواء كانت تلك الاعمال صناعية او تجارية او سياسية . ويتساءل الناس كثيراً عن السر في عدم نجاح عمل الجماعات في سورية تساؤلاً جدلياً قلّ من ينصرف فيه الى التحليل والدرس على طريقة الاستقراء والاستنتاج . ولتحليل الحادثات الاجتماعية

مقال كتب قبل 90 عاماً:

عمل الجماعات في سورية

بقلم: د. كاظم الداغستاني

لماذا ينجح السوريون فرادى ويفشلون في العمل الجماعي؟

لقد أصبح من المعروف حتى بين عامة الناس في سورية أن كل عمل تقوم به جماعة أو شركة أو رهط من السوريين مصيره في الغالب إلى الفشل. ومن المعروف أيضا أن اكبر أعمال وأعظم المشاريع في الغرب قل أن يقوم بها إلا جماعة، اشتراك أفرادها في العمل واتحدوا عليه سواء كانت تلك الأعمال صناعية أو تجارية أو سياسية. ويتساءل الناس كثيرا عن السر في عدم نجاح عمل الجماعات في سورية تساؤلاً جدلياً قلّ من ينصرف فيه إلى التحليل والدرس على الطريق الاستقراء والاستنتاج.

ولتحليل الحادثات الاجتماعية وتفهمها أصول لا يصح معها تفسير الظاهرة الاجتماعية بعلة واحدة والاعتماد بالبحث عن أسبابها على عامل واحد، فقد تتضافر العوامل والعلل فتخلق وضعا اجتماعيا واحدا وقد تكون هذه العوامل والعلل فردية يرجع فيها إلى التحليل النفسي أو اجتماعية أصولها إلى روح الجماعات ومزاياها الخاصة وما احتفظت به من تقاليد الماضي وعرفه وأوهامه. على أن بين هذه العوامل والعلل ما هو رئيسي يعمل أضعاف أضعاف ما تعمله العوامل الأخرى في تكيف الوضع الاجتماعي وتطوره وهذه العوامل الأساسية في عدم نجاح عمل الجماعات في سورية هو ما سنتعرض لبسطه وتعليله في هذه العجالة.

يتوقف نجاح العمل في الجماعات على شروط أساسية كثيرة غير وحده الغاية والمبدأ من أهمها الثقة المتبادلة بين أفرادها الجماعة والمفاداة بكثير مما تمليه الأثرة وحب الذات، وأهمها اعتقاد الفرد بإخلاص شركائه في العمل وحسن ظنه بهم وتناسبه جزءا من ذاتيته وتنازله عن شيء كثير مما يعتقده من حقوقه لإنهاض المشروع الذي ترمي إليه الجماعة قبل سعيه لتأمين ما يرمي إليه هو نفسه وتفضيله الغاية العامة على الغاية الخاصة متى تعارضت الغايتان وغير هذه من الشروط التي تتطلب في كل فرد من أفراد الجماعة شيئا من التضحية والإخلاص وسلامة القلب وشرف النفس وسمو الروح وهي صفات لا تتفق بشيء مع ما نسميه الأنانية على أن الأنانية من الوجهة العامة تكاد تكون ابرز ظاهرة من ظواهر نفسية الرجل السوري يؤيد ذلك ما يمكن الرجوع إليه من التحليل النفسي بطريقة درس ظواهر الأعمال ونتائجها.

والأنانية لا تنافي الذكاء بل تؤيده وتدل عليه فالرجل السوري شديد الذكاء سريع الخاطر لكن في ذكائه شيء كثير من الخبث والدهاء وسوء الظن وعدم الثقة بغيره وهذا ما يدعو لنجاحه منفردا بعيدا عن جماعته ويسلبه أكثر الصفات التي يقوم عليها نجاح العمل في الجماعة.

وليست هذه المساوئ ناشئة عن مزاج الرجل السوري أو عن طبيعته الخاصة؛ فهو كغيره من الرجال الأذكياء غير أن هنالك أسبابا اجتماعية عملت عملها في روحه منذ الصغر فأورثت نفسه ما أورثتها وسلبت منها ما سلبت منها ما سلبت حتى صار إلى ما هو عليه اليوم، قويا ناجحا ما دام منفردا، وضعيفا فاشلا إذا انضم إلى جماعة.

نحن من المؤمنين أن أهم هذه الأسباب وأعظمها أثرا في تكييف نفسيه الرجل السوري هو النظام العائلي الذي تربينا عليه وترعرعنا في حماه وان تجارب سنوات طويلة قضيناها في درس العائلة (الزوجية) في سورية وتفهم أوضاعها أيدت لنا ذلك وجعلتنا نكاد أن نأبى الجدل فيه.

تجرد عن العاطفة وحكّم العقل والمنطق، وأقدِم على درس العائلة السورية كأنك غريب عنها. إنك لا تكاد تجد من أوضاعها غير ما يورث الأنانية وحب الذات في نفس من نشأ فيها. في هذه الجماعة الصغيرة الأولى التي تقوم على دعائمها الأمة بأسرها بتلون الذكاء بلون الخشية وسوء الظن ويصير هدؤ الضمير إلى قلق وحذر فتنقلت لذة التضحية إلى حب الذات وتتلطخ طهارة النفس بادر أن الأنانية وأوساخها.

من الصعب علينا أن نبسط في مقال واحد أوضاع هذه الجماعة السورية الأولى التي فيها سر كل ما نعانيه وعليها مدار إصلاحنا الاجتماعية والاقتصادي والسياسي فنبين أثرها وعواملها في تربية النفوس وتطورها لان ذلك يحتاج إلى إقامة الحجج والإدلاء بالبراهين وضرب الأمثلة الصريحة المقنعة.

على إننا لا نجد مندوحة عن الإشارة هنا منذ الآن إلى أن جميع تلك الأوضاع تنشأ عن مبدأ واحد هو تحكم الرجل في شؤون المرأة والعائلة تحكما نشأ عن تقاليد قديمة فلم يعد يتفق مع ما تطلبه التربية في هذا العصر لإعداد رجال أشداء لا نجاح لهم إلا في عملهم مجتمعين وهذا ما سنفرد لبيانه وتفصيله بابا خاصا في اعدد الثقافة الآتية.

الرجل السوري شديد الذكاء سريع الخاطر لكن في ذكائه شيء كثير من الخبث والدهاء وسوء الظن وعدم الثقة بغيره

تَجرّد عن العاطفة وحكّم العقل والمنطق، وأقدِم على درس العائلة السورية كأنك غريب عنها. إنك لا تكاد تجد من أوضاعها غير ما يورث الأنانية وحب الذات في نفس من نشأ فيها

مجلة (الثقافة) الدمشقية - تموز / يوليو 1933

ومازال الجدل مستمرا



مصعب الجندي

كأننا لم نتعلم أي درس

يكفي الكاتب كاظم الداغستاني أنه لامس بعمق حالة اجتماعية ذات منشأ ثقافي تربوي، وأثر على كل بنى حراك تطوري إن كان في السياسة أو الاقتصاد. حالة ما نزال نعاني منها حتى يومنا هذا كوجع نشعر أن لا فكاك منه.

قد أختلف مع الكاتب حول أسبابه (رغم أنه قدم إحاطة جيدة) ولكن هنا لا يحق لي الاختلاف إلا إذا كنت أعيش معه قبل تسعين عاماً حيث لا سوشيال ولا وسائل تواصل أو فضائيات، لأني مؤمن تماماً أن كل رأي فكري أو موقف في جميع جوانب الحياة، لا يُقرأ إلا في زمانه وعصره وظروفه، أو أن محاكمته ستكون ناقصة الدعائم لا تختلف عن النكوص إلى الماضي والعيش فيه، وهنا في العموم قتل للأمل وقتل للمستقبل. ولكن في حالنا هذه وشبيهاتها يظهر عمق استيعاب الباحث للظاهرة واستشرافه للمستقبل من خلال مدى استمرارية الظاهرة المدروسة في زمنه،وحجم أثرها على الأفراد والجماعات، لذا فرض الكاتب علي أن أبتعد عن إبداء رأي أو نقد للمقال، وأكتفي بطرح القليل جداً من أسئلة "استمراريتها"

تكاد الإجابات أن تكون واضحة في واقعنا بعد ثلاثة عشر عاما (وإن دققت أكثر بعد خمسين عاما). لماذا فشلنا نحن السوريين في بناء مشروع وطني جامع وواحد؟ أليست الطائفية أو الإثنية أو.. أو ما تسمى (القطيع) بأنانيته وفردانيته وإن شكل جماعة ما؟ أما تلك التي أسميها (إدارة السياسة) وبالتعابير العاميّة: ألم ينشر مثقفونا وسياسيونا غسيل بعضهم البعض أمام العامة والخاصة والآخرين من أجل مكاسب فردية الكثير منها ماديّة، وهنا أضيف للفردانية صفة الدناءة والأمثلة كثيرة ؟

ظاهرة الفردانية تجلت بأبشع صورها في هذا الواقع المرّ وساعدها التطور التقني، وهنا أقولها بصراحة وأتحمل مسئوليتها أمام الله وحرائق دمشق: إن النظام الحاكم كان الأكثر استفادة والأقل تضررنا منها بدلاً من أن يكون العكس.

قد أكتب الكثير الكثير عن هذه الظاهرة لكن المساحة لا تسعفني، وما يؤلمني اليوم هو مدى جمودنا وكأننا لم نتعلم أي درس.



عدنان عبد الرزاق

كاظم الداغستاني... موافق بتحفظ!

ملفت وسابق لأوانه ربما، المقال الذي كتبه القانوني والسياسي والإعلامي، كاظم الداغستاني عام 1933 في مجلة "الثقافة" التي لم تعمر، للأسف، سوى عام ونصف العام بعنوان"عمل الجماعات في سورية" متسائلاً ومنذ البداية، عن نجاح الأعمال الفردية وفشل الجماعية، متأثراً ربما، بما رآه من مؤسسية وعمل الفريق والنهضة الإدارية، خلال دراسته وإقامته في أوروبا"فرنسا" ومما خبره عبر تجارب بالعمل السياسي والاجتماعي والثقافي، أوصله يوماً إلى غرفة رئاسة الجمهورية، قبل أن يبتعد ويتفرّغ للإعلام والثقافة.

إن لم نتوقف على اللغة، الرشيقة والجمل الإعلامية التي حملت المقال، فربما القفز على الأفكار والأسباب التي نسبها لهذا المرض الخطير ببناء الدول ونجاح الأعمال، يعتبر إثماً وحيفاً بحق الداغستاني، فأن يتم التفنيد للأسباب، اجتماعية وأسرية كانت أم سياسية، موضوعية عامة تعلقت بالبيئة أو ذاتية، سلوكية أو نفسية، كما بيّن الكاتب، فذلك، وفقاً لما كنا نقرأه لكتاب وموضوعات ذلك الزمان، يعتبر سبقاً على صعيد الفكرة والموضوع والمعالجة، وربما لهذا وغيره، كان سبب انتقاء الإعلامي محمد منصور هذا المقال، للمناقشة بباكوره أعداد وليده"العربي القديم" الذي أتمنى أن يلقى ما يستأهل، بزمن الاختلاط و وإجهاض جلّ الأعمال، فردية كانت أم جماعية بزمن التيه الذي يكسونا رغماً عنّا. وتحفظي على ما أورده الكاتب تأتى من نقاط عدة.

أولها أنه "سورن" الحالة بشدة، في حين أن المنطقة برمتها، كانت تعاني من الفردانية والتشتت ومحاولات البروز السوبرماني، نظراً للهيمنة الأوروبية بأشكال الاستعمار والانتداب والوصابة. وربما سورية بحكم التراكم الحضاري والسبق الصناعي والزراعي وحتى الإداري، كانت أفضل حالاً وبما لا يقبل القياس مع دول مجاورة. كما أن غرق الكاتب بنسب السبب الأبرز للأسرة والتنشئة الاجتماعية، ربما أبعده عن ملامسة السبب الحقيقي، مع الاعتراف طبعاً بدور الأسرة والذهنية التي تساهم بتشكيل وعي ونمط عمل الفرد.

إذ، ورغم وجاهة ما ختم به، من سيطرة الرجل الشرقي على الأسرة وقراراتها ومحاولات تنشئة الأولاد وفق تقاليد الماضي، من بأس وشدة وقوة، إلا أن، هكذا أعتقد، لبيئة العمل الدور الأهم والتي تأكل أو تنال على الأقل، من خلفية العامل الأسرية والاجتماعية أياً كانت. بل وتصهر، أو هكذا يفترض مؤسسياً، جميع الأنماط والطبائع، بقانون وأداء موحد يؤدي لتحقيق الغاية النهائية للمؤسسة. كما، من أسباب تحفظي وإن في هذا السبب غرابة وإثارة للجدلية، أن ما يغطّى بعباءة العمل الجماعي، في غالب الأحايين وليس جميعها، إنما يقتل التميّز الفردي ويسوّي بين العاملين، ما يؤدي بالتتالي، إلى الترهل والتنطية وابتعاد الابتكار وروح المبادرة. بل وربما بعض الأنماط الاشتراكية التي تلت فترة الكاتب، قتلت عديد من المبادرات والنبوغ الفردي، عبر تسقيف العمل والأجر، ولنا بأمثلة لا حصر لها، عن سوريين وغير سوريين، كانوا مدفونين بالجماعة وتميّزوا بالبيئة الغربية التي تولي للفرد خصوصية وتدفع بالمختلف للواجهة.

ومما أراه واجب الطرح، خلال تكريس العمل الجماعي هي المدرسة، مستذكراً ما قرأته مرة عن تعليم الأطفال باليابان خلال حصة الموسيقا، إذ يسمي المعلم هناك، كل طالب بمفردة من السلم الموسيقي، فهذا دو وذاك مي وتلك فا، والأخرى لا أو سي، ليتم الاندماج الكلي خلال العزف فيتم تكريس ما بعد الجماعية إلى الانصهار والاتحاد وتتبدد الفردية إلى غير رجعة، إذ لا معنى وإطراب لأي طالب، من دون زملائه.

نهاية القول: تبقى الإرادة الكلية والسياسة العامة للدول، هي أساس التميز والتطور، عبر الخطط والبرامج والتشجيع، والتي لا تتحقق إلا بالعمل الجماعي وتضافر التخصصات، من دون نكران للمتميزين والحالات الفردية القاطرة التي تضفي حتى على العمل الجماعي، لوناً وسرعة وإنجازاً مختلفة. كما يبقى مقال الداغستاني، سبقاً وسابقة بزمانه، وفيه كل ما يدلل على فكر وتجربة، إن لم نقل همّاً عامّاً أرّق الكاتب جراء ما رآه من تعطيل، عبر عمله في الشأن الزراعي والقانوني والتفتيشي، قبل أن يحاول تكريسه خلال تبوئه منصب قائمقام معرة النعمان أو محافظ حوران. وربما بِنَكْءِ وجعنا الأعمق مناسبة ودليلاً، فمن أهم ما ساهم بقتل حلم السوريين بثورتهم، هي الفردانية والأنانية وتغييب أهل التخصص والعمل الجماعي، وكان ثمة أسباب أخرى، كالتي قفز عليها الراحل الداغستاني - جلّها موضوعية - سرّعت على الأقل بأكل مدعّي الثورية للثورة، كما يأكل النظام الوراثي المستبد بدمشق الحلم والتاريخ، بعد أن قتل المباردة والإنسان وضيّع ملامح سورية وجغرافيتها.



د. أحمد عسيلي

التقاليد المناطقية قوية

أرى أن هناك نقاشا مستحقا وبعض علامات الاستفهام حول هذا المقال. السوريون بشكل عام بارعون جدا في العمل الجماعي، لكن عندما تكون الجماعة من اختيارهم، تشكيلها جاء بشكل طبيعي. مثلا تجار الشام وحلب، استطاعوا أن يشكلوا حركة قوية وعلاقات متطورة قائمة على أساس التقاليد الراسخة والمتوارثة. أتذكر كلمة تاجرة دمشقية تتعامل بالملايين، قالت أنه في عمرها كله لم توقع عقودا.. وبعمره لم تحدث مشكلات مع بقية التجار. أي أنهم استطاعوا أن يشكلوا عملا جماعيا ممتازا.

نفس الفكرة مع تجار (أرواد) التي أنا منها، ثمة عمل جماعي قوي ودعم متبادل. أيضا وبكل حيادية يمكننا القول أن المخابرات السورية هي عمل جماعي لبعض المجموعات التي تشتغل بأسلوب جماعي قوي ومتماسك، لكن وهنا نقطة الجدل، المجتمع السوري تشكّل من مجموعات غير مترابطة وبشكل خارجي عشوائي، لم يكن عندنا الوقت الكافي لتتعرف كل جماعة على الجماعة الأخرى التي فرضت عليها على رقعة الوطن.

حتى الآن جماعات دمشق مثلا لا تعرف شيئا عن عقليات أهال أرياف الساحل ولا تقسيماتها الاجتماعية ولا أسلوب عملها. ثم جاءت الدكتاتورية فأنهت أي شكل من الاندماج الاجتماعي البطيء والتلقائي الطبيعي، ورفعت شعارات اللحمة الوطنية والوحدة الوطنية الكاذبة التي كانت تؤدي إلى النقيض.

ليس لدينا القدرة على العمل مع بعض كجماعات لأننا ببساطة لا نعرف بعضنا بعضاً؛ لكن ضمن كل جماعة ثمة عمل وإنجاز جميل، وأكبر دليل أن عمل التنسيقيات في بداية انطلاقة الثورة كان رائعاً لأنه كان مبنيا على أساس محلي: الحي والقرية والبلدة... لكن حين اجتمعت تنسيقيات لا يربط بينها شيئا وقع الخلاف.

باختصار: عندنا تراث سوري شامل، لا أساليب عمل موحدة لكل أبناء البلد، لكن التقاليد المناطقية قوية، وناجحة صراحة.

القضية



ومازال الجدل مستمرا



همام البني

أزمتنا الوجودية

مشكلتنا أزلية، على ما يبدو.

من يحلل وضع المجتمع السوري في المقال "الخال" كاظم نجيب الداغستاني، وصل جده للشام قبل تاريخ ولادته بأعوام قليلة، ومعروف عن شعوب الشراكسة تنظيمهم الجماعي، "الأديغه خابزة" لديهم، مجموعة دساتير عرفية غير مكتوبة تُسيّر المجتمع وتُنظّم شؤونه بشكل دقيق، هذه العادات والتقاليد الراسخة ساهمت في توحيدهم حتى لو تباعدوا في كل أنحاء العالم.

في جنازة والدتي رحمها الله؛ في مدينة (بورصة) التركية، تواجد أغلب شراكسة المدينة رغم عدم معرفتهم الشخصية بنا.

الداغستاني صاحب تجربة طويلة بالعمل المؤسساتي السوري؛ كتابه "العائلة المسلمة المعاصرة في سورية"، أطروحة باللغة الفرنسية حاز بها الدكتوراه في العلوم الاجتماعية، واعتبرها بعض الباحثين من بين أفضل 50 كتابا منشورا في ذلك الزمن عن سوريا.

الجميل وغير المفاجئ، تركيزه على الرجل السوري كسبب شرعي ووحيد لأزمتنا "الجماعية" الوجودية؛ يبدو أن النساء السوريات هن الحل، على أيديهن قد يكتب "ادغيتنا خابزة"، الخاصة بنا.



محمد علاء الدين

غياب ثقافة الدولة وأثرها على العمل الجماعي

الفردية ظاهرة متجذرة في المجتمع السوري، ثقافة وسلوكاً، كانت وما تزال تطرح عن أسبابها ودوافعها وكوامنها أسئلة كثيرة، لا يمتلك أي فرد القدرة على الإحاطة بجميع جوانبها، وتحتاج إلى منظومة بحث متخصصة للولوج إلى عالمها، وتحديد معالمها، و ووضع خطط علمية لمعالجة انعكاساتها السلبية اجتماعياً، في مجتمع (سوري) مشهود لأفراده على مر العصور، بالإسهام الحضاري الفاعل، والنبوغ الفردي.

كنت، وربما مع كثير من أقراني وأبناء جيلي، الذين ما عايشوا الحياة في سورية إلا تحت سطوة الاستبداد الأسدي، أباً وابناً، نردها في عجالة الاستنتاج إلى تدخلات المنظومة الأمنية في(الدولة المتوحشة) ونهجها المدروس في تغييب فعالية العمل الجماعي تخوفاً من انعكاسات سياسية، فينعكس ذلك على مجمل النشاط الاجتماعي، من الرياضة التي نجح فيها ندرة أفراد، إلى الفن والإبداع بشتّى مجالاته، إلى الاختراع والصناعة التي تحتاج تضافراً وتكاملاً جماعياً فأجهضت كل محاولة للتوسع لتبقى، غالباً، في إطار تأسيس عائلي يقوم نجاحها على مقدرات المؤسس الخاصة، ودوره العائلي النافذ، ثم في كثير من الأحيان ينفرط العقد برحيل المؤسس، وتوازعات الورثة، مع استثناءات غير كثيرة. لعل ذلك العامل للنهج الأمني لا يجافي حقيقة، لكنه عامل من عوامل عديدة، يؤكد وجود ظاهرته واستفحالها مقال (د. كاظم الداغستاني) المنشور قبل تسعين عاماً، ما يقتضي التعمق أكثر في الظاهرة، وعدم تعليقها، اتكالاً، على مشجب واحد كما يفعل المستسهلون بغير علم.

الظاهرة إذاً موجودة، وعقبة حقيقية في مجتمع يمتلك أفراده نبوغاً ومقدرات ذاتية تؤسس لنجاح فردي،آني وأسروي، لكنها من الخطورة بمكان على التطور الاجتماعي والتراجع المجتمعي والحضاري بين منظومات كبرى تطور عملها الجماعي ليتجاوز دولة الموطن ويغدو عابراً للحدود والقارات.

يؤكد(د. كاظم) في مقاله على خطورة الظاهرة، بعد أن يلقي إضاءات متناثرة على بعض أسبابها وظواهرها، مع تأكيده على أن مقالاً لا يتسع لها، وإنما ينبه لضرورة درسها وتجاوز عواقبها.

تساؤلات وومضات أختم بها، من غير ادعاء بصوابيتها، تاركاً المجال للمتخصصين، مع مزيد من قرع أجراس الخطر الذي يؤكده المقال منذ تسعين عاماً تضيء على ما سبقها، وقد تحولت الظاهرة اليوم إلى كارثة ونحذو ها هنا حذوه، فمقال أو تعقيب لا يتسع سوى لومضات، إنما هو تأكيد أولاً على المختصين في العلوم الاجتماعية لإيلاء الظاهرة ما تستحق من درس وأهمية، خاصة وأن نتائجها الكارثية تجلت في فشل العمل الجماعي خلال أعظم ثورة قام بها السوريون، عبر تاريخهم المنظور، وقدموا فيها تضحيات فوق كل تصور، لكنها في مجملها، وعلى الرغم من مضي أكثر من اثني عشر عاماً على اندلاعها، ما زالت تفتقر إلى أبسط مقومات العمل الجماعي الذي كان وبالاً عليها، بل وكارثة في قلبها.

مع تلك الدعوة للدراسة العلمية والعملية للظاهرة، وما دمنا في مجال ومضات صحفية، أتساءل:

. هل غياب ثقافة الدولة لقرون عن مجتمعنا السوري، هو سبب من أسباب الظاهرة؟. فمجتمعنا السوري لم يعش حالة دولة وطنية تمثله حق التمثيل الحضري المتمدن إلا في تمخضات أُفشِلت منتصف القرن العشرين، آخذين بالاعتبار أيضاً أن تلك(الدولة السورية) جاءته مُصنَّعة قبل أن تكون مطلباً اجتماعيّاً حقيقيّاً. لعل ذلك ما زاد في النزعة الفردية، إذ بقي الفرد يتطلع إلى تحقيق الذات بامكاناته الخاصة، ومقدرته الذاتية التي يعززها أحياناً بأنانية مفرطة، في غياب أي مثل ناجح يثق به، أو مؤسساتٍ للدولة يثق أنها تعمل لصالح عام، وتكون له لا عليه، من غير استثناء لتلك المؤسسات بأجهزتها الأساسية من تشريعية وتنفيذية.. وقضائية على وجه الخصوص تستطيع إحقاق حقوقه مواطناً، فتعززت فرديته أكثر، بل ونظرته العدائية للدولة بوصفها كيان ابتزاز وتحكم، لا منظومة ارتقاء مجتمعي ومساواة ونهضة جماعية.



إيمان الجابر

نحن شعب لم يأخذ فرصته

العمل التطوعي هو عمل تعاوني وليس تنافسيا. مبني على الثقة والاحترام المتبادل بين أعضاءالفريق، وأهم ميزة يجب ان تتوفر بين عناصره: الاصغاء، وليس الاستماع فقط.

في العائلة السورية التي تربينا فيها، النظام التراتبي هو المهيمن. تبدأ من سلطة الأب أو الأم ولا تنتهي بالاخ الاكبر الذي يجب ان يتم الاستماع له دائما "أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة". في مدارسنا، لم نتعلم كيف نشكل فريق ونتعاون على حل مسألة رياضيات أو نطلق جريدة حائط. كان علينا التلقي وتنفيذ التوجيهات فقط، وأسلوب التعليم كان يعتمد غالبا على الحفظ وتكرار ما قاله الاستاذ، من دون نقاش!

إذاً هي في الحقيقة تركيبة مجتمع مبنية على الفردية الهرمية في التعامل والعمل. لم نعتد أبدا على العمل افقيا، حتى في الرياضة والمهن التي تتطلب روحاً جماعية. كنا أفرادا يظن كل واحد فينا أنه هو من يستحق أن يكون في موقع المنتنفذ او المتحكم باتخاذ القرارت. كانت صدمتنا بأنفسنا كبيرة، حين وجدنا أنفسنا امام واقع ما بعد الثورة نحتاج للتكاتف والتعاون، تقودنا عاطفة جامحة لتقديم المساعدة للجرحى والمهجرين. كان هدفنا فعل أي شيء وبأقصى سرعة وبشكل عفوي، لمساعدة من دفع الاثمان نيابة عنا. بقينا على هذه الحال لأشهر طويلة، وعندما قررنا أن ننظم انفسنا "فتنا بالحيط" كما يقال، وبدأت المناطقية المذهبية والطائفية بالظهور، وبرزت حسابات أخرى لم نفكر فيها مطلقا خلال الأشهر التي كانت معجونة بالمحبة والصدق.

بدأت الآنا تظهر عندما احتجنا لاتخاذ قرارات لإدارة منظمة أسميناها "سوريات بلا حدود"، مع التأكيد أن عملنا كان تطوعيا، خالصا ندفع من جيوبنا ولا نتلقى أية أجور من أحد؛ وكانت النتيجة الانفصال وتحول الهدف الذي جمع 7 سيدات لم يجمعهم مكان قبل الثورة إلى: من هو المدير؟ ومن سيكون صاحب القرار؟ ومن ومن؟ وعدنا الى نقطة الصفر و"أكبر منك بيوم أعرف منك بسنة" وصار الفريق فريقين، وبعد ذلك اصبح ثلاثة حتى بدأ بالتلاشي.

لا أرى في جلد الذات حلا ولا بالتعبير أن الشخصية السورية متفردة عن غيرها من شعوب الأرض في الأنانية، إنما هو نظام اجتماعي تربينا فيه، يشبه الدوائر المنغلقة على نفسها تحت تسميات مختلفة. عزّزها وعمل عليها نظام البعث الديكتاتوري، الذي أطلق رصاص الغدر وسلطة الموافقات الأمنية' فقتل فينا كل حلم بعمل جماعي يبنى على الثقة والاحترام والخير من أجلنا ومن أجل سوريا

باختصار شديد، نحن شعب لم يأخذ فرصته بعد إلا قليلا، بُعيد الاستقلال ربما. نحتاج اليوم أن نخلقها بأنفسنا، بأيدينا، ونحن بكامل هزيمتنا أمام العالم كله.

العربي القديم

صحيفة شهرية تعنى بالتاريخ السوري والعربي وتستعيد ذاكرة الصحافة العابرة للأجيال

رئيس التحرير:
محمد منصور

مديرا التحرير:
عبد الرحمن عمرين

إدارة سوشيال ميديا
فايز النعيمي

المستشار الفني:
نبيل مراد

* الآراء الواردة سواء من المقالات القديمة أو المقالات المكتوبة خصيصا لـ" العربي القديم" تعبر عن توجهات الصحيفة ورأي إدارة تحريرها
* إيميل التحرير: mansoursham@gmail.com
* واتساب التحريروالإعلان: 00905368116000



عن الزميلة (المضحك المبكي) العدد الثالث 1929

المضحك المبكي

بقلم: غسان الإمام

صدرت «المضحك المبكي» في يوم حار من أيام عام 1929، وكانت على غلافها صورة كاريكاتيرية لرئيس الحكومة الشيخ تاج الدين الحسني، بعمامته. وجبته. ووجهه الطفولي. أقرأ في العدد الأول. الافتتاحية قصيرة. تصف الشيخ تاج بأنه «قصير القامة. مكرش قليلا». السخرية ناعمة قد تحرج. لكن لا تجرح.

رجل دين يعمل في السياسة؟ كان الشيخ تاج ديمقراطيا. يقبل نقد صحيفة ساخرة. يؤمن بأن رجل الدين الذي يعمل في السياسة لا تحميه القداسة. أين سماحة الشيخ تاج من عصبية حسن نصر الله. ورعونة يوسف زُعَيِّن رئيس حكومة البعث (1966)؟!

كم تأخرت وتخلفت الديمقراطية عندنا! فقد هدد الأول محطة التلفزيون التي داعبته بالقصف والنسف. آمن بأنه محمي بـ«معصومية» الفقيه. وأودع الثاني سمير كحالة رئيس تحرير «المضحك المبكي» السجن. فقد طالب حكومة الأطباء الثلاثة بتأمين الدواء للشعب.

لكن لماذا صدرت «المضحك المبكي»؟ يجيب مؤسسها ورئيس تحريرها حبيب كحالة منذ العدد الأول: «لأن الهزل يزيل الهم. ويشرح الصدر. ويسهل الهضم». كان حبيب يكتب دعاباته. ويحرر مجلته، وهو في سريره. ثم يرتدي طربوشه. وبزته الأنيقة. ويطوق عنقه بعقدة «البابيون». ثم يذهب إلى النادي، ليسهر مع الساسة الذين داعبهم. أو يستقبلهم في منزله. فهم يعرفونه منذ أن أصدر «سوريا الجديدة» صحيفته السياسية اليومية في عام 1918 في عهد الدولة الفيصلية المستقلة. كان أبي يقرأ «المضحك المبكي». بل كان صديقا لأبي درويش «الرجل الكاريكاتير» في المجلة، بعصاه القصيرة. وطربوشه الأطول قليلا من عصاه. ودعاباته اللاذعة. والدعابة السورية لاذعة. تقرص. وتلسع. والدعابة المصرية توقعك على قفاك من الضحك.

لا صحافة ساخرة بلا كاريكاتير. كان هناك 5 رسامي كاريكاتير في «شارلي إيبدو». قتل الإرهاب 4 منهم. ونجا الخامس ليرسم غلاف العدد الجديد. فأثار العالم الإسلامي مجددا على الصحيفة. كان مصطفى أمين في الأربعينات الكاتب الساخر والمخبر الصحافي الأول في مصر. كان في التاسعة والعشرين عندما أصدر أسبوعية «أخبار اليوم». وامتلكت الجرأة الرسام الكبير رخّا، فرافق قلم الصحافي الكبير، في محاولة هدم شعبية مصطفى النحاس زعيم «الوفد»، بالسخرية منه.

كانت «المضحك المبكي» جهدا فرديا مضنيا للحبيب. وكان هو أيضا رسام شخصيات الدعابات السياسية. ويتولى رسامون أصدقاء رسم أبي درويش والغلاف. ثم عثر رئيس التحرير على الرسام اللبناني خليل الأشقر. فتولى رسم الغلاف 8 سنوات، قبل أن يعود إلى لبنان، ليتولى رسم كاريكاتير «الشبكة» و«الأنوار» عقودا كثيرة.

استهوت السياسة الكتّاب الصحافيين. فغدا حبيب كحالة ومصطفى أمين نائبين في برلمانات الأربعينات. وخرجا من التجربة الأولى وهما يلعنان السياسة. وينتقدان فساد الحياة النيابية. وعندما أخرج السادات مصطفى من سجن عبد الناصر في السبعينات، لم يسمح له بالعودة إلى التدريس في الجامعة الأميركية قائلا: «يكفينا مصطفى أمين واحد». وعندما مات السادات، راح مصطفى يحضر جلسات المجالس النيابية في عهد مبارك، ليجلد حضرات أعضاء مجلس الشعب بدعاباته الصحافية الساخرة.

حبيب كحالة صحافي ساخر وكاتب جاد. خرج من مجلس النواب، ليؤلف كتابا (مذكرات نائب) عن أسرار الحياة النيابية والسياسية. وذهب في غضبه ومرارته، إلى حد التشكيك في قيمة الديمقراطية، مركزا على العامل الثقافي في تهيئة العرب للقبول بالمبدأ الديمقراطي. لا أريد أن أطيل في مجال نقد التجربة النيابية. أخشى أن تقضي ذرائع حبيب كحالة القوية على مستقبل الحياة النيابية، بعدما أصبحت مجالس الشعب والنواب مكاتب لبصم سياسات الأنظمة وقرارات الحكومات.

توفي حبيب كحالة غمًا وهمًا، في ذروة أزمة مجلته مع «البعث» الطائفي الذي اغتال مائة سنة من تاريخ السخرية في الصحافة السورية. المضحك أن كتّاب السخرية تكاثروا. المبكي أن الصحافة العربية تدّعي الرصانة، لتخفي السخرية عن قلم الرقابة.

ورث محمد الماغوط أسلوب مصطفى أمين الساخر. لم يلجأ الساخران الكبيران إلى مزج الفصحى بالعامية، كما فعل السعدني وأحمد رجب. رسم أدونيس الماغوط شاعرا. فأبى الماغوط أن يموت إلا كأشهر كاتب عربي ساخر.

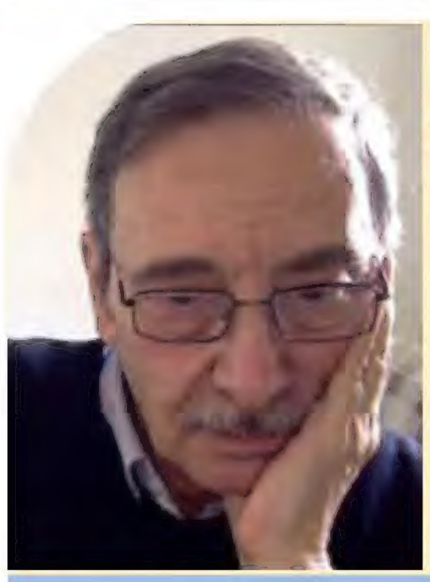
أنجب حبيب كحالة أسرة صحافية. ذهب نجله الأكبر جورج إلى باريس مراسلا لـ«المضحك المبكي». عندما احتجبت الصحيفة للمرة الأولى، انتقل جورج إلى الدبلوماسية. فسرحه حسني الزعيم! فتبنته الأمم المتحدة كبيرا لمترجميها العرب. توفي جورج منذ سنوات قليلة عن 87 عاما، تاركا نجله (جورج الثالث) رجل القانون أحد كبار المحامين اليوم في الولايات المتحدة. ورث النجل الثاني سمير متاعب «المضحك المبكي» عندما تصدر. وعندما تحتجب. طور سمير تحرير الدعابات الساخرة بالكاريكاتير. توقعتُ له في الستينات أن يصبح رسام المستقبل في الصحافة العربية الساخرة. فسجنه يوسف زعين (1966).

خرج رئيس تحرير «المضحك المبكي» المحتجبة من سجن «البعث» ليعمل في المحاماة. عندما أضرب محامو سوريا مطالبين بتطبيق قوانين الحرية، وإلغاء الأحكام العرفية كان سمير رئيس تحرير مجلة نقابة المحامين (1980). لم يرتكب حافظ غلطة العمر، كما فعل ابنه بشار الذي استخدم السيف في موضع الغدر. ظل حافظ يعد السوريين بالديمقراطية إلى أن تمكن من تأميم النقابة واعتقال المحامين المعتصمين. نجا سمير فهاجر إلى فرنسا. حاولت أن أقنع رئيس تحرير الصحيفة الساخرة المحتجبة بأن يصدرها من باريس عاصمة الحرية في العالم. آه. نحن الصحافيين السوريين كزملائنا المصريين. لا نملك جرأة زملاء حملوا معهم صحفهم في طائراتهم، لإصدارها من العاصمتين «العربيتين» لندن وباريس.

اقتلع زبانية بشار حنجرة المغني الذي سخر منه. ثم حطموا أصابع رسام الكاريكاتير علي فرزت الذي ورث حلم سمير في صحافة عربية. حرة. ساخرة. ماذا يفعل سمير إذن في باريس؟ ما زال يتسلى منذ 30 سنة، بإثارة حزنه وحزني، برسم بيوت دمشق وأحيائها القديمة. وعندما يمل، يعكف على قراءة الرسائل التي ما زالت الصحيفة الشهيرة تتلقاها على الإنترنت.

عن صحيفة (الشرق الأوسط) 2015/1/20

ماذا بوسع "العربي القديم" أن يقدّم؟



فواز حداد

من المؤسف أن تكون أمجاد الصحافة السورية في الماضي، لا في الحاضر، لكن هذا ما اعتدنا عليه، فتاريخنا أيضا كانت امجاده في الماضي. في الحاضر باتت الإساءة إليه بمثابة الواجب. لماذا لا ندعه للمؤرخين، مادام أن كتابته لم تستكمل بعد ؟حسناً إذا لم تفصل فيه جهودهم، فلن يفصل فيه جهابذة وسائل التواصل وأشباههم، الذين يعملون على تخريبه لمجرد التمظهر الثقافي.

كذلك بواكير الصحافة السورية، وتشمل الساخرة والتعتيم عليها. إذا بدت كأنها لم تكن، فلأنها بالدرجة الأولى سياسية، كما ينبغي للصحافة أن تكون. في وقتها حازت قدرا لافتا من مسؤولية الحق في النقد، كانت من الخطورة بحيث انها لم تُقارع فيما بعد، وانما قمعت وقتلت، بعدما امتلكت من الحرية في زمن الانتداب الفرنسي، ما لم تمتلكه في زمن حكومات العسكر أصحاب الانقلابات التي حررت الشعب السوري من التخلف والجهل وذهبت به إلى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية، ومجتمع بلا طبقات، كانت البديل اللفظي عن الطغيان.

لم يكن لزمن الانفتاح على التوريث، أن يحل، الا بعد دفن الصحافة، حلت محلها مطبوعات من أخبار مراقبة، وإعلام مفبرك، مكللة بالقيود والمزيد من القيود، لا تحمل من الصحافة سوى العنوان، صحافة موالاة ليست عمياء، تدرك دورها في صناعة أكاذيب، يصنعها مرتزقة.

اليوم، بوسع مشروع "العربي القديم" ان يقدم الكثير للسوريين من خلال ما كانت عليه الصحافة السورية، إذ من خلال الاطلاع عليها يمكن استشفاف الحالة السورية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا، كتاريخ يومي يكتب كما يُرى من عدة مستويات وزوايا قد تكون متعارضة أو متوافقة أو متناقضة، ما شكل حيوية المشهد الصحافي السوري في أزمنة بدأت أواخر الحكم العثماني مرورا بالانتداب الفرنسي، فالحكم الوطني، الوحدة والانفصال، الى بدايات البعث، وفي الأفق تلوح بدايات الدولة الشمولية.

في استعادة تلك الفترات، إدراك لنعمة حرية الصحافة رغم انها كانت محدودة، لكنها فعلت الكثير، وإدراك أوسع عندما لم تعدم الوسائل لاستنفادها، وإدراك أيضا إلى القدرة على استغلالها كما يجب ان تستغل.

هذا المشروع ينحو إلى استعادتها، لما تمثله من حيوية في التطرق إلى مسائل، في هذه الأيام قد تقود إلى الاخفاء القسري. لا تخفي العودة إليها، ما يواكبها من الأمل والعمل والرغبة في استئناف مسيرة بدأت، وفي استمرارها تقدير لمرحلة كانت مضيئة في تاريخ الصحافة السورية.



تفاصيل الكارثة المفجعة:

أسمهان

تموت غرقا مع وصيفتها

وأحمد سالم الجريح يقول:

سامحها الله

"خرجت الفنانة أسمهان إلى رأس البر، وفي طريقها سقطت سيارتها في ترعة قرب طلخا، فماتت غرقاً مع وصيفتها ونجا سائق السيارة "

هذه الكلمات المقتضبة هي التي تناقلتها أسلاك البرق أمس، وأذاعتها محطات الإذاعة، فاهتزت لحادث أسمهان القلوب وأشفقت على شبابها الغض وجمالها الفاتن وصوتها الساحر، كيف تصبح كلها في فترة قليلة ملك التراب.

وقد جاءت فيما بعد تفاصيل ما حدث نجملها فيما يأتي:



تفاصيل الكارثة المفجعة

اسمهان تموت غرقا مع وصيفتها

احمد سالم الجريح يقول سامحها الله

« خرجت الفنانه اسمهان الى راس البر وفي طريقها سقطت سيارتها في ترعة قرب طلخا فماتت غرقا مع وصيفتها ونجا سائق السيارة»

هذه الكلمات المقتضبة هي التي تناقلتها اسلاك البرق أمس واذاعتها محطات الاذاعة فاهتزت لحادث اسمهان القلوب واشفقت على شبابها الغض وجمالها الفاتن وصوتها الساحر كيف تصبح كلها في فترة قليلة ملك التراب وقد جاءت فيما بعد تفاصيل ما حدث نجملها فيما يأتي:

عاد الهدوء الى نفس اسمهان بعد حادث اطلاق النار من احمد سالم تدريجيا وبدأت تشعر انها تحيا في جو من الاطمئنان حين عرفت ان احمد سالم لا خطر على حياته، وهذه الحالة النفسية التي استهلت بالاضطراب والقلق وانضت الى هدوء نسبي، أثرت على اعصاب الفنانة فراحت تنشد الراحة في اجواء بعيدة عن العاصمة الصاخبة. ولكن الظروف لم تكن مواتية فظلت في دارها تستقبل الاصدقاء والصديقات ريثما تتمكن من الخروج والافلات وفي اثناء ذلك عكفت على عملها في فيلم « غرام وانتقام » حيث تمثل دور البطلة الى جانب الاستاذ يوسف وهبي وقد شهد لها الذين رأوها تمثل دورها انها بلغت فيه اسمى درجات الاتقان وان الفن اذعن لها كل الاذعان في نواحي الغناء والحركات التعبيرية وكان اصدقاء اسمهان يوم الخميس الماضي حواليها يكتنفونها من كل جانب في ستوديو بنك مصر

وقد بدت مشرقة المحيا ترسل النكات بجذل وسرور ولا سيما حين عمدت الى رقص الدبكة في الفيلم تلك الرقصة الوطنية اللبنانية التي تعرف كيف تقوم بها بقوة وعنفوان

وقد ذهلت الاوساط الفنية للخبر وكان وقعه عليها عظيما حتى ان معظم اصدقائها ابوا ان يصدقوا موتها وترددوا في قبول الواقع والتسليم به. وقد طلبت اسمهان اجازة ثلاثة ايام بعد ان اطمأنت على نجاز الفيلم كي تقضيها في رأس البر على ان تعود في نهاية الاسبوع الى الاستوديو كي تسجل المنظر الاخير من « الغرام والانتقام » ؛ ولما ابلغت زملاءها انها عازمة على السفر تولاهم الوجوم والخوف كمن يتوقع امراً جللا. فقد مانع زميلها مدحت عاصم في سفرها وتوسل اليها ان تؤجله. واراد يوسف وهبي ان يحول دون ذلك ويختطفها الى الاسكندرية ويبقيها في ضيافته. وانضم الى صف المعارضين معظم الزملاء.. ولكن اسمهان التي وقف لها الموت بالمرصاد يرقبها ويود اختطافها، رفضت واصرت على السفر، وقضت ليلة ساهرة في بيتها بين صحبها وزملائها على ان تهب الى السفن، الذي كان يستعجلها، في الصباح الباكر.. وبعد ان انتهت السهرة نامت نوما هادئا وقامت نشيطة وركبت سيارتها الخاصة مع وصيفتها الانسة ماري قلادة وجلست السيدتان

البقيه في صفحه ٤ عمود ٥

صحيفة (فلسطين) 16 تموز 1944

عاد الهدوء إلى نفس أسمهان بعد حادث إطلاق النار من أحمد سالم تدريجياً، وبدأت تشعر أنها تحيا في جو من الاطمئنان حين عرفت أن أحمد سالم لا خطر على حياته. وهذه الحالة النفسية التي استهلت بالاضطراب والقلق وأفضت إلى هدوء نسبي، أثرت على أعصاب الفنانة فراحت تنشد الراحة في أجواء بعيدة عن العاصمة الصاخبة. ولكن الظروف لم تكن مواتية فظلت في دارها تستقبل الأصدقاء والصديقات ريثما تتمكن من الخروج والإفلات. وفي أثناء ذلك عكفت على عملها في فيلم "غرام وانتقام" حيث تمثل دور البطلة إلى جانب الأستاذ يوسف وهبي. وقد شهد لها الذين رأوها تمثل دورها أنها بلغت فيه أسمى درجات الاتقان في نواحي الغناء والحركات التعبيرية، وكان أصدقاء أسمهان يوم الخميس الماضي حواليها يكتنفونها من كل جانب في استوديو مصر، وقد بدت مشرقة المحيا ترسل النكات بجذل وسرور ولا سيما حين عمدت إلى رقص الدبكة في الفيلم، تلك الرقصة الوطنية اللبنانية التي تعرف كيف تقوم بها بقوة وعنفوان. وقد ذهلت الأوساط الفنية للخبر وكان وقعه عليها عظيماً، حتى أن معظم أصدقائها أبوا أن يصدقوا موتها وترددوا في قبول الواقع والتسليم به.

وقد طلبت أسمهان إجازة ثلاثة أيام بعد أن اطمأنت على إنجاز الفيلم كي تقضيها في رأس البر، على أن تعود في نهاية الأسبوع إلى الاستوديو كي تسجل المنظر الأخير من "غرام وانتقام" ولما أبلغت زملاءها أنها عازمة على السفر، تولاهم الوجوم والخوف كمن يتوقع أمراً جللاً. فقد مانع زميلها مدحت عاصم في سفرها وتوسّل إليها أن تؤجله. وأراد يوسف وهبي أن يحول دون ذلك ويختطفها إلى الاسكندرية ويبقيها في ضيافته. وانضم إلى صف المعارضين معظم الزملاء... ولكن أسمهان التي وقف لها الموت بالمرصاد، يرقبها ويود اختطافها، رفضت وأصرت على السفر وقضت ليلة ساهرة في بيتها بين صحبها وزملائها على أن تهب إلى السائق، الذي كان يستعجلها في الصباح الباكر... وبعد أن انتهت السهرة نامت نوماً هادئاً وقامت نشطة وركبت سيارتها الخاصة مع وصيفتها الآنسة ماري قلادة، وجلست السيدتان في المقعد الخلفي وانطلق السائق بهما ينهب الأرض نهباً.

وقد ارتدت أسمهان ثوباً خفيفاً وألقت على كتفيها معطفاً صيفياً، وحملت بيدها كتاباً افرنسيا تتلهى بمطالعته في الطريق. وكان السائق فضل محمد نصر يقود السيارة بسرعة غير عادة، ولم ينتبه إلى تعاريج مرتفعة في طريقه فاصطدم بها، ووقعت في الترعة المعروفة باسم الساحل عند بلدة (سرنفاش) من أعمال مركز طلخا. وقد تمكن السائق من الخروج والنجاة ثم استغاث، فأسرع على صوت استغاثته كثير من الأهالي والمزارعين وعملوا على استخراج السيدتين، فأخرجوهما جثتين هامدتين. ووضعتا على شاطئ الترعة في انتظار حضور رجال البوليس والنيابة. وقد ألقي القبض على السائق وأودع المركز وأبلغ الخبر إلى النيابة. ومما يُذكر أن السائق اشتغل مدة طويلة في شركة مصر للتمثيل والسينما، وكان سائقاً خاصاً لأحمد سالم حين كان هذا يدير استوديو مصر في بدء إنشائه.

ولما وصل الفنان فريد الأطرش إلى مكان الحادث ورأى جثة شقيقته أسمهان مطروحة جانباً ومغطاة بلحاف أبيض، لم يتمالك نفسه أن بكى وانتحب واشتد به العويل بمرارة وحرقة، ثم ألقى بنفسه عليها وقبلها قبلات الوداع الحارة لأخ يفارق أخته إلى الأبد. وبعد أن أجري الكشف الطبي على الجثتين، تبين أن الوفاة حدثت من الاختناق في الغرق، ونقلت الجثتان إلى القاهرة.

أرسل فريد الأطرش على أثر وقوع الحادث برقية إلى الأمير فواز الشعلان، ينعي فيها أخته ويطلب منه إبلاغ خبر الحادث إلى زوجها السابق الأمير حسن الأطرش، وإلى عموم أسرتها في جبل الدروز

نعي الفقيدة استوديو مصر ونقابة الموسيقيين المحترفين باسم الرئيسة أم كلثوم.

ووصيفة أسمهان الآنسة ماري قلادة قبطية، تربطها بها روابط صداقة متينة، وكانت مخلصة لها تأنس إلى وقفتها وتخلد إليها في روحاتها وغدواتها. وكانت الفتاة معروفة بدماثة الأخلاق والوداعة. وقد تبلغت الأم نبأ وفاة ابنتها حين كانت تتناول الغداء بمنزل المطربة نجاة علي مع الأستاذ مدحت عاصم، وقد عادت إلى البيت وهي تذرف الدموع السخية. ولما أبلغ خبر موت أسمهان إلى الجريح أحمد سالم، فلم يصدقه وأنكره إنكار المحب الذي تأبى نفسه أن يخسر حبيبه فلا يسلّم بالواقع. ولما تأكد من الخبر قال بمزيد من الألم والحسرة والإشفاق والحنان "سامحها الله".

ووجدت في السيارة عدة حقائب فيها ملابس المطربة المتوفاة، مع علبة ذهبية تتضمن الحلي والجواهر بينها عقد لؤلؤ وساعتان ذهبيتان وخاتم ألماس وأقراط مختلفة. وقد وجد اسم أحمد سالم منقوشاً على بعض المصوغات. وأرسل فريد الأطرش على أثر وقوع الحادث برقية إلى الأمير فواز الشعلان، ينعي فيها أخته ويطلب من الأمير إبلاغ خبر الحادث إلى شقيقها الثاني، وإلى زوجها السابق الأمير حسن الأطرش، وإلى عموم أسرتها في جبل الدروز.

وقد نعى الفقيدة استوديو مصر ونقابة الموسيقيين المحترفين باسم الرئيسة أم كلثوم، والأعضاء الذين نعوا بقلوب ملؤها الأسى زهرة يانعة من زهرات الفن، قطفت من غصنها وهي لا تزال عاطرة مخضلة ريانة.... فإلى رحمة الله.





علياء المنذر تبكي ابنتها أسمهان

قدمت إلى فلسطين قبل أيام، الأميرة علياء المنذر، واستطاع مندوبنا أن يأخذ منها حديثاً قصيراً نقدمه لقرائنا فيما يلي:

س: كم عمرك وكم سنة قضيت منه في مصر؟
- عمري 45 سنة قضيت منه 21 سنة في مصر، وقد تزوجت وعمري 12 سنة وهاجرت أنا وزوجي إلى بلاد الأناضول أثناء الحرب العظمى الأولى.

س: كم كان عمر أسمهان وقتها؟
- لقد سال الدمع من مآقيها عند سماعها هذا السؤال، ولكنها أجابت بقولها إنني لا أذكر كما كان عمرها، ولكن أذكر تاريخ ميلادها، فقد ولدت في سنة 1919 في بلدة "ديمرجي" من أعمال الأناضول.

س: هل ينوي الأستاذ فريد الزواج ؟
- كلا، كلا إنه لا يفكر في الزواج رغم أنني عرضت عليه ذلك مرارا فرفض رفض باتا.

س: ما هو الفيلم الذي أعجبك من أفلام ابنك فريد؟
- انتصار الشباب. وقد كنت أشاهده كل يوم 4 مرات

س: هل أعجبك فيلم (جمال ودلال)؟
- أعجبني من حيث الغناء فقط، أما من حيث التمثيل فلم يَرُق لي.

س: أين تعيش ابنة أسمهان ومن يقوم على تربيتها وتعليمها؟
- تدرس في إحدى المدارس في بيروت، وأما في العطل المدرسية فإنها تذهب إلى جبل الدروز عند والدها.

س: كيف كان موقف الأمير حسن باشا الأطرش من زواج أحمد سالم بأسمهان؟
- عندما ألقيت عليها هذا السؤال، انتفضت كالتي أصابتها القشعريرة ووضعت منديلا على عينيها وصارت تبكي بكاء حارا ثم قالت لي: بالله عليك لا تسألني هذا السؤال، ولا تقارن بين أحمد سالم والأمير حسن الأطرش، أرجوك ثم أرجوك. فشعرت بالخجل وتأثرت لما حدث.

س: هل العلاقة بين بين الأستاذ فريد وجبل الدروز على ما يرام؟
- اليوم نعم، وأما قبلا فقد كانت متوترة جدا.

س: هل يعتزم الأستاذ فريد السفر إلى جبل الدروز؟
- في الوقت الحاضر كلا وذلك لكثرة أشغاله، وأما في المستقبل فممكن.

س: ما هي أحرج الأوقات التي مررت بها في حياتك؟
- تنهدت ثم قالت: حياتي شجون وآلام. إن أحرج موقف جابهته في حياتي هو اليوم الأول الذي ظهرت فيه أسمهان على المسرح، فقد عملت المستحيل لأمنعها، ولكن دون جدوى (بكاء... بكاء)

س: هل من نصائح تقدمينها للمرأة الفلسطينية؟
- عندما أرجع إلى مصر سأكتب عن المرأة الفلسطينية شيئا كثيرا في مجلة "التضامن النسائي" عن أخلاقها وسوكها وثقافتها.

وبعد أن انتهيت من الأسئلة شكرتها شكرا جزيلا ورجوتها أن تحدثنا عن أغرب حادثة مرت بها فقالت: عندما كانت ابنتي أسمهان في سن الرابعة كنت أسليها بشيء من الغناء فتنام، فألتفت إليها أثناء نومها فأجد العبرات تتساقط من عينيها. وهذا مما يدل دلالة واضحة على عظيم تأثرها بالغناء والموسيقى منذ الصغر.

ومن الجدير بالذكر أن ما حدث لأسمهان في الصغر، مازال ماثلا في ذاكرة الأميرة علياء ولهذا تستعيد تفاصيل أخرى: كانت تطلب مني أن أغني لها فأغني، وفي أثناء الغناء ألتفت لها فأجدها تبكي فأقول لها: لماذا تبكين؟ فتقول لي: بس، بس، أنا أشتكي بدموعي. فإلى القارئ نترك تعليل الحادث الغريب.

مجلة (المنتدى) الفلسطينية 1946/8/9



إعلان عرض فيلم أسمهان الأخير في سينما روكس بمدينة القدس 1945

أسمهان
الإنسانة والفنانة



بقلم: فريد الأطرش

كانت أسمهان فنانة في كل شيء حتى في أكلها وشربها وملبسها. وكانت تمضي عليها فترات تميل فيها إلى العزلة فتهرب من الناس وتبالغ في الهرب منهم وتتجنب لقاءهم حتى اعتقد البعض أنها متكبرة متعجرفة. وكانت في بعض الأحيان تحب الحياة المليئة بالصخب والضوضاء وهذا حال الفنانين.

وقبل أن نعرف أسمهان في الحياة الفنية كانت تعيش في البيت حياة كلها هدوء وبساطة، وكانت تميل إلى القراءة والاستماع إلى الموسيقى. وأستطيع أن أقول أن أسمهان كانت تحفظ عن ظهر قلب أكثر من عشرين ديوانا من الشعر العربي، وعددا كبيرا من أبيات الشعر الفرنسي، وكانت أحب رياضة إليها في تلك الأيام السير على الأقدام لمسافات طويلة.

ولم تكن طفولة أسمهان تدل على أنها ستصبح مطربة. كانت تذهب إلى المدرسة لتتعلم كما تقضي تقاليد أسرتنا على كل فتاة، وكنا نلاحظ أنها تميل إلى الجلوس بجوار "فونوغراف" تستمع إلى قصائد أم كلثوم وأغاني غيرها من المطربين والمطربات، ولم يخطر بذهن أحد أن أسمهان لها صوت جميل، إلى أن حدث ذات يوم أن دعتنا أسرة صديقة تقيم في حلوان إلى تناول طعام الغداء ، وذهبنا جميعا إلى بيت هذه الأسرة. وبعد تناول الغداء جلسنا نستمع إلى أغنية لأم كلثوم سجلتها على أسطوانة، وهي أغنية " إن كنت أسامح وأنسى الأسية" وكان إعجابها كبيرا بهذه الأسطوانة الأمر الذي جعل صاحب البيت يعيد وضعها على الفونوغراف عدة مرات. وبعد ساعات قررنا العودة إلى البيت وفي الطريق فوجئنا بأسمهان تغني الأغنية بصوت جميل. وبدأ الصراع بيننا وبين تقاليد أسرتنا وانتهى بالنصر لنا، وأصبحت أسمهان مطربة رغم أنف هذه التقاليد.

وكانت كريمة إلى حد الجنون، وقد سبب لنا كرمها متاعب ولكنها متاعب طريفة لابأس من رواية بعضها هنا. حدث أن كنا نقيم في حي جاردن سيتي، وكانت أسمهان في هذا الوقت في سن السادسة عشرة، وحدث في أول يوم من الشهر أن أعطيت أسمهان مبلغ عشرة جنيهات وهو قيمة إيجار الشقة التي نقيم فيها، وطلبت منها أن تعطيها لوكيل صاحب العمارة التي نسكنها وتأخذ منه إيصالا. وعندما اجتمعنا للغداء ظهرا فوجئنا بزيارة وكيل العمارة يطلب الإيجار، فقلت لأسمهان: اذهبي وأعطيه المبلغ... ولكن أسمهان ارتبكت وظهرت عليها مظاهر الاضطراب، فلما استوضحتها الأمر قالت إن إحدى صديقات الأسرة وهي زوجة صيدلي معروف، زارت بيتنا في الصباح تسأل عن والدتنا فلما لم تجدها قالت لأسمهان أنها جاءت لتقترض مبلغ عشرة جنيهات لتنقذ بها سمعة زوجها المهدد ببيع صيدليته، وانهمرت الدموع من عيني هذه الصديقة، فأخرجت أسمهان الجنيهات العشرة وأعطتها لهذه السيدة، وأضافت أسمهان:

"إنه في إمكان صاحب البيت أن ينتظر، لكن ليس في إمكان زوج صديقتنا أن يُشهر إفلاسه بسبب عشرة جنيهات" واضطررتُ إلى إخراج عشرة جنيهات أخرى وأنا أضحك من كرم أسمهان!

وكانت أسمهان تعطف على الفقراء عطفا كبيرا، وكانت الدموع تملأ عينيها كلما رأت متسولا يسير في الطريق ماداً يده. وحدث أن كانت تسير في الطريق وتقدم نحوها متسول يطلب إحساناً، وفتحت أسمهان حقيبتها فلم تجد بها غير بضع أوراق مالية من فئة الخمسة جنيهات، وأخرجت ورقة منها وقالت: "خذ... نصيبك".

أما أسمهان المطربة فكانت ذات إحساس فني مرهف، ومقدرة قوية على فهم اللحن بعد سماعها له مرة واحدة. وأروع خصائصها كمطربة – وأنا أتحدث عنها كملحن – أنها كانت تغني بإحساس، وكانت تحس بكل ما تقوله إحساسا عميقا صادقاً، وكانت كل قطرة دم في عروقها تهتز مع أحاسيسها . لهذا كانت أسمهان مطربة لن يجود الزمان بمثلها. وقد لمعت أسمهان لمعاناً سريعاً بعد ظهورها في دنيا الطرب، ونجحت بسرعة شديدة، واستطاعت أن تكسب الإعجاب والتقدير إلى جانب الإحترام الكبير.

إن أسمهان بموتها قد تركت – وأنا أقول هذا كمنتج سينمائي وفنان – تركت فراغا كبيرا في دنيا الموسيقى والغناء.

مجلة (آخر ساعة) 1950 /10/10

مراثي أسمهان

سلام على أسمهان

شعر: علي أحمد باكثير

في سنة ١٩٤٤ توفيت الفنانة الكبيرة أسمهان غرقا عندما انقلبت سيارتها في إحدى الترع وكانت في طريقها من القاهرة إلى مصيف رأس البر وحول هذا الحادث كتب الشاعر والأديب المعروف علي أحمد باكثير هذه القصيدة :

غرقتْ؟ كيف يغرق النور والحسـ ـنُ وفنُّ الخلود في شبر ماء؟
ما تقولون؟ هل تجدُّون أم تلـ ـهون أم هل يجد صرف القضاء؟
لو حواها البحر العريض لضاق الـ ـبحر ذرعاً عن روحها الشمّاء!
أو حوتها الصحراء لأنجفتْ ظـ ـلاً وماءً في جنة خضراء!
لِمَ لَمْ تغرق الكواكب والشُهب وشمس الضحى وبدر السماء؟
صوتها العبقري قد كان يُغني عن ضياء بنير في الظلماء!

• • •

مَن شدا بعد أسمهان بلحن فلأذنِ عن لحنه صمّاء
ما عزائي من بعدها بنشيد أو غناء ولات حينَ عزاء؟
هلّةً قيل إنها بُلبلٌ أو كروانٌ أو عندليبٌ غناء
أين من صوتها حناجر طير أو أرايين آلة خرساء؟
صوتها الصوت للخلود وللفر دوس لا للدنيا ولا للفناء!
أسمعَ اللهُ منه للناس حيناً ليحنّوا شوقاً لدار الجزاء
ليروْا أنّ ما على الأرض فان والنعيم النعيم في الفيحاء!

• • •

ليت عيني تذهبان ويُضحي خطبُها كاذباً من الأنباء!
شهر يوليو مَنْ ذا يردُّك ابريـ ـلَ وأعطيه مهجتي وذمائي؟
شهر يوليو لا كنت ياشهر يوليو أنت شهر الدموع والأرزاء

• • •

آه يا أسمهان! يابهجة الدنيـ ـا وأغنية السَّنا والسَّناء
خرست بعدكِ البلابل في الرو ض وجفت جداول السَّراء
وظلال الفن الرفيع اضمحلّت وتولّت بشاشة الندماء
كنت أبكي - إذا سمعتكِ تشـ ـدين - بدمع يندى على أحشائي
صرت أبكي - إذا سمعتك تشـ ـدين - بدمع مُورّد بالدماء!
فاذهبي كالربيع... كالكوكب الها وي.. كسارى النسيم.. كالأنداء!
واخلدي في القلوب ما خلد الفـ ـنُّ وجاشتْ بلابلُ الشعراء
وارقدي في ثرى الكنانة والفي ما تشائين من هَوىً ووفاء!

(المنصورة) ١٩٤٤

اسمهان

جلست على عرش الزمان وتبوأت صدر المكان
والفن دان لها وقلدها الجمال الصولجان
بذت به الاتراب وامتازت على كل الحسان
ما قلت كفرا انما هذى حقيقة أسمهان

....

ماتت وما ماتت وما آمال الا فى أمان
فى القلب مأواها وذكر اها على رأس اللسان
أدت رسالتها وذابت شمعة فى الشمعدان
خلعت على الدنيا السرور وألبستها الارجوان
وشدت فكان الشدو أحلى من عصير البرتقان
وحديثها السحر الحلا ل ولحظها سحر البيان
فتانة أحرى بها أن لا تهان ولا تدان
من دانها دان الرسا لة واعتدى وهو الجبان

....

مسكينة ماتت وما ماتت سوى قبل الاوان
غرقت وكم كانت لغر قاها الرجا والديدبان
واليوم تغرق أسمها ن ولا تخلّص أسمهان
لهفى على الجسم الابض طغى عليه الافعوان
وعلى الامانى الطامحا ت على الانوثة والحنان

...

هذى عروس الفن يا اخوان احيوا المهرجان
للموت حان زفافها ورحيلها للخلد آن
هاتوا الاغانى كفنو ها بالمثالث والمثان
رشوا عليها الطيب غطوا جسمها بالاقحوان
وابكوا على الفن الذى نسجت سداه أسمهان

اسكندر الخورى

أباً عن جد



والدي بشير فنصة
1917 - 1996

بقلم: سعد فنصة

كنت مخطئا وكان هو مصيبا في مجمل مواقفه وتاريخه، وصاحب رؤية بعيدة، دوّنها في مذكراته التي حملت ذات الاسم ومنعت من النشر، ولم تبصر النور حتى اليوم!

كان والدي قد أصدر في العام 1975 مؤلفه الأول بعنوان "برج الصمت" عن إحدى دور النشر الشهيرة في بيروت، مع بداية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، في صيف ذات العام كنا للتو قد قمنا وأخي الأكبر بابتكار جهاز بث إذاعي منزلي بمعدات بدائية، مكونة من ميكروفون وآلة تسجيل، وبيك آب قديم، وما إلى هنالك من وسائط نقل الصوت بأدوات الكترونية منزلية من ذلك الزمان، نقدم عبرها برامج للتسلية والضحك، ونسجل عليها أغان ساخرة ومقاطع فكاهية من حياتنا اليومية الأسرية، نستهدف فيها بعض الأقرباء والأصدقاء من ثقلاء الظل، ولم تفلت من برامجنا الناقدة بعض الجارات والجيران المجاورين لنا أو القاطنين في حينا السكني آنذاك.

هل يتخيل أحدكم كيف استطعنا قطع الإرسال على والدي، خلال برنامجه اليومي الاعتيادي المنتظم، بالاستماع بعد وجبة الغداء مباشرة الى نشرة أخبار الساعة الثانية من إذاعة لندن، حيث قدر لنا بعد تجارب سرية وشاقة، دون أن يلتفت إلينا أحد، قطع نشرة الأخبار، لحظة اصغاء والدي للموجز، وبث الخبر التالي: (خلال الأحداث المؤسفة التي تدورالآن رحاها في بيروت، وخلال تبادل القصف المدفعي والصاروخي، بين حزب الكتائب والفصائل الفلسطينية المقاتلة التي يترأسها أبو عمار(ياسر عرفات)، انفجر أحد الصواريخ ووقع على إحدى دور النشر الكبرى في شارع الحمراء بالعاصمة اللبنانية، مما ادى الى احتراق الدار، وقد أورد مراسلنا في بيروت، أن كتاب المؤلف بشير فنصة الصادر منذ أيام قد احترقت جميع نسخه، مع ما احترق من كتب صدرت مؤخرا عن هذه الدار).

كان كل شيء معد بعناية ولم يكن ليخطر على بال والدي المسكين، الذي اضطرب في تلك اللحظة، أنّ ولديه استطاعا النفاذ إلى البث الإذاعي، وايقاف البث الأصلي، وبث هذه الرسالة الإخبارية المزيفة، بصوت مذيع واثق من مستمعه، بعدما عدَّل من حباله الصوتية لتبدو للمستمع جهيرا.

للوهلة الأولى، وفي تقنيات تلك الأيام لا يمكن لأي سامع إلا أن يُصدق الخبر المذاع الذي تبثه الراديو .. فقد كان مقلبا متقنا،

> **أول نقد كتبته في حياتي تناولت فيه أدب والدي بصورة فيها من النقد القاسي والمتهكم، الذي لم يُشعرني بالندم في حياتي قط... كما ندمت عليه بعد رحيله**

> **كان كاتباً حراً متسامحا لأقصى درجات الوعي بأهمية حرية التعبير وإبداء الرأي، لكل من خالفه أو عارضه**

لكنه عرف الحقيقة بعد لحظات من انفجارنا بالضحك.

كنت في حينها في العاشرة من عمري، وشقيقي الأكبر في الخامسة عشرة.

النقد والندم

بعد عشر سنوات على هذه الحادثة كنت صحفيا شابا، تَنْشُر نصوصي ومقالاتي صحافة بيروت، وأول نقد أدبي كتبته، تناولت فيه أدب والدي بعد إصدار مؤلفه (رسالة الراح والأرواح) التي ألفها على غرار نهج (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، وقد جاء بصورة فيها من النقد القاسي والمتهكم، الذي لم يُشعرني بالندم في حياتي قط، كما ندمت عليه بعد رحيله.

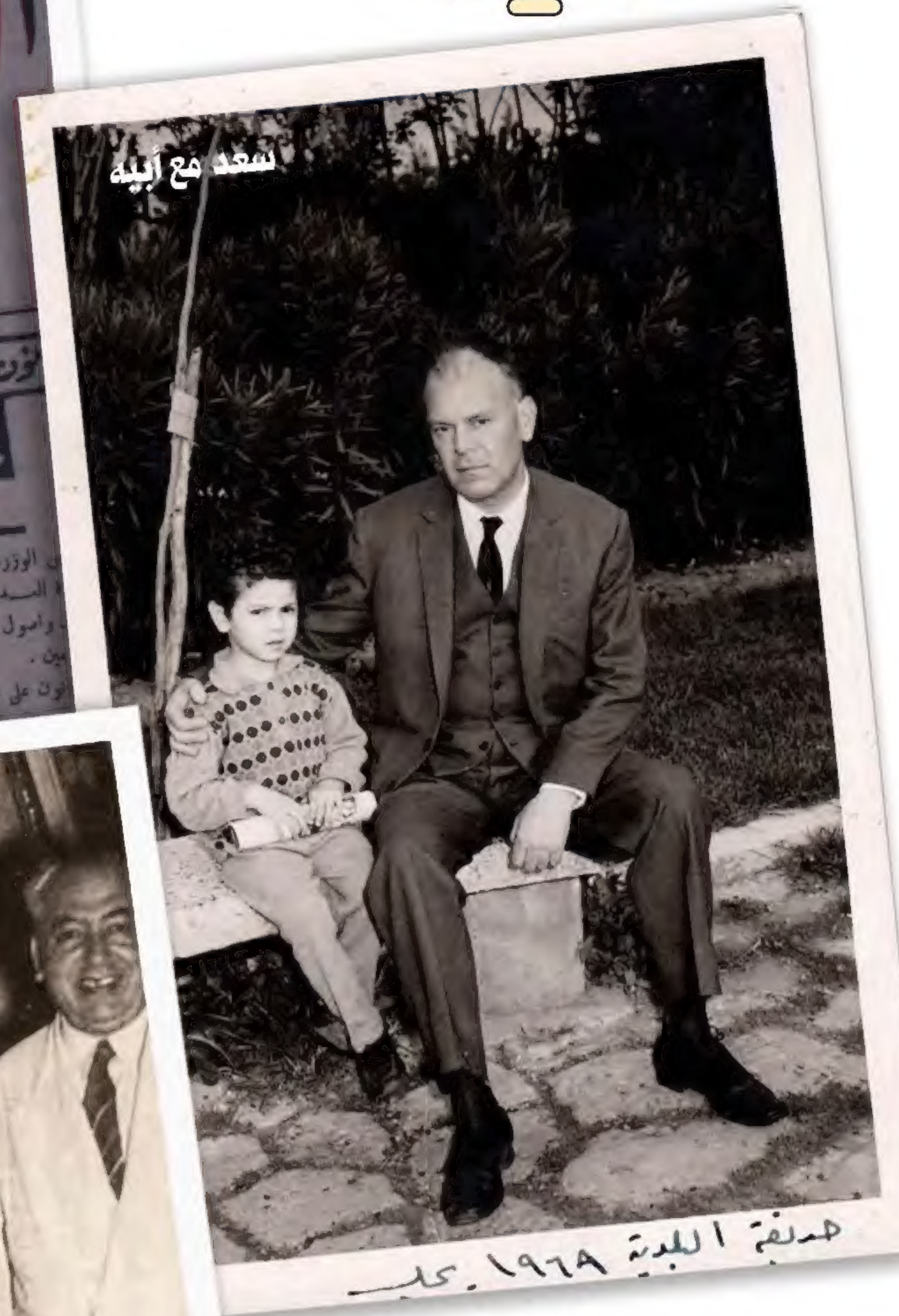
حين وقفت في حفلة تأبينه في عام 1996، وأنا أدير الحوار بين الأدباء الضيوف، أقرأ على مسامع الحشد الغفير، المستغرب، كيف يُقدَّر لصحفي شاب أن ينقد أدب والده، بهذه الجرأة، بل وينشره بالصحافة المقروءة.

وبررت موقفي أمام الملأ بأن بشير فنصة كان كاتبا حراً، متسامحا لأقصى درجات الوعي بأهمية حرية التعبير وإبداء الرأي، لكل من خالفه أو عارضه، وكنت الأشد بين أولاده الخمسة في مناقشته، بل ومعارضته بآرائي ومواقفي في الحياة والأدب والسياسة. وكنت مخطئا وكان هو مصيبا في مجمل مواقفه وتاريخه، وصاحب رؤية بعيدة، دونها في مذكراته التي حملت ذات الاسم ومنعت من النشر، ولم تبصر النور حتى اليوم.

النكبات والمغامرات

عندما كتب مذكراته في الصحافة والسياسة، بعنوان: (النكبات والمغامرات)، جاءت بأسلوبه وشهادته، أعلى من مذكرات لحدث الانقلابات العسكرية السورية، وأقل من تأريخ بحكم معرفته وقربه وقرابته من أصحاب القرار ومن كان خلفهم، ولم يورط نفسه، مع أي منهم، بحكم استقلاليته الشديدة، وبُعده عن الظهور والأضواء، كما تورط شقيقه الأصغر نذير في الأحداث العاصفة التي دفعته إليها دفعا، قبل وبعد انقلاب حسني الزعيم في العام 1949.





سعد مع أبيه


بشير فنصة مع حسني الزعيم

اليوم تكشف وثائق التاريخ، بعد مرور الزمن وظهور أنواع أخرى من إنقلابيي البعث، ثم الطائفة، والحكم الوراثي المدمر، أن هؤلاء العسكريين القدماء بالرغم من أخطائهم الكبرى، كانوا نوعاً مخففا جدا، قد لايكون مثاليا في الوطنية السياسية، إلا أنهم لم يكونوا جواسيسا أو عديمي الشرف والقيم الوطنية، قياسا إلى مرتكبي أحداث اليوم الكارثية، التي دمرت البلاد وشردت العباد.

وبالرغم من حياديته الظاهرة ومنهجيته العلمية في تدوين مذكراته، منعت كذلك طوال ثلاثين عاما، من زمن كتابتها مطلع سبعينات القرن المنصرم، حتى نهاية تسعينات القرن ذاته، حين استطعت التفاوض مع الرقابة، وحذف بعض النصوص، وتغيير مواقع فصول أخرى، حتى قُدِرَ لي طباعة مخطوطته، ومفاجأته بظهوره الى النور قبيل وفاته بأسابيع قليلة.

أعود الى قضية الحرية، عند بشير فنصة، كما فسرها الأديب الراحل وليد اخلاصي في حديثه عن والدي، بقوله: "بشير فنصة كان مشروعا سياسيا فاشلا في سورية، منذ بدايته أراد أن يلعب لعبة الحرية والديمقراطية، فجاء من أوقفه وأوقفها، لذلك عاش عزلته الشخصية متفرغا للتأليف والترجمة وأبدع في ذلك ايما ابداع".

أما صديق تجربته الصحافية الطويلة الصحافي المهاجر فيكتور كالوس، فقد كتب عنه وعنها مؤرخاً قائلا: "بشير فنصة من جيل الصحافيين الأوائل، امتاز بأسلوبه الرقيق السهل، وأبى الطعن والهجوم في الآخرين طوال ممارسة مهنته، واختار حياة التقشف والعزلة، كان له شلة من الأصدقاء يرتاح اليهم، ويسهر معهم بعد انتهاء أعماله اليومية. جمع رهطا من أدباء حلب يساهمون معه في إصدار جريدة (اللواء) الأسبوعية مع عبد الوهاب وأورخان ميّسر الأديب والقصصي، وعمر ابو ريشة وخليل هنداوي وعمر ابو قوس، وخير الدين الأسدي وغيرهم من الأدباء المحترفين، فكانت مجلته زاهية بالمواضيع القيمة والأفكار التقدمية، والإنعتاق من قيود الماضي".

في سجون الانتداب

سجن والدي أول مرة عام 1940 في سجن الرملة ببيروت، عندما نشر في جريدته رغما عن تحذيرات سلطة الإنتداب خطابا ناريا لسعد الجابري كان محظور نشره، يطالب فيه بالثورة والإستقلال الناجزعن الإحتلال الفرنسي.

صدف ان كان معه في زنزانة واحدة المحامي الشهير نجاة قصاب حسن، ونعمة ثابت أحد كبار منظري الحزب السوري القومي والذي انشق عن زعيمه انطون سعادة فيما بعد، ويروي لي كيف أَنِفَ عن تناول مرقة لحم ذي رائحة منفرة، عرف أنها من بقايا لحوم الخيول التي خرجت من الخدمة، وكانت تذبح وتطبخ وتقدم للسجناء، وبقي طوال مدة سجنه يأكل من بقايا كسر الخبز الجاف التي كانت ترمى اليهم في سجنهم الرهيب. لذلك كان شديد الخوف حتى أقصى درجات الرعب على أصغر أبنائه، أنا الذي أكتب عنه اليوم، هذه السطور، حين عملت في الصحافة اللبنانية القومية، مطلع نشأتي دون أي تدخل منه، أو موافقته أو حتى إعلامه، وهو الذي مرَّ على معرفته بالصحافي الشاب شارل حلو والذي غدا فيما بعد رئيس الجمهورية اللبنانية، حين كان حلو يعمل في صحافة حلب في ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي، كذلك صداقته مع مؤسس صحافة الفن الناشئ لأول مرة في تاريخ الصحافة العربية، القطب الإعلامي سعيد فريحة، وغيرهم كثر.

أقول كان يخشى ما يخشاه أن يساهم قلمي شديد الوطأة بزجي في غياهب سجون ومعتقلات المنظومة الأمنية القوية لحكم الأسد، بأكثر الأساليب ترويعا وفظاعة مما عاناه هو في مطلع شبابه، لذلك كان يكرر على مسامعي الفروق الجلية بين زمن الإنتداب وزمن حكم الطائفة، بين معتقلات الإنتداب وثقل أيامها وشهورها، وبين سنوات معتقلات التعذيب الأسدية وفظاعة ممارساتها، نعم.. لازلت أذكر تحذيراته كما قالها بالأمس، حتى يوم خرجت نهائيا من وطأة وطن الرعب واللصوصية وأبواب معتقلاته المشرعة على التهام كل صاحب قلم أو صورة أو رأي أو موقف وقفه إلى جانب الناس وحراكهم.

كانت صحيفته (الأنباء) التي أسسها مع شقيقه الأصغر نذير قد طويت بقرار التأميم وأصبحت مكاتبها ملكا لجريدة البعث

رد علي الأديب زكريا تامر برسالة ختمها بقوله: "والدك كان عملاقا في زمن الأقزام".

انقلاب البعث والاستيلاء على (الأنباء)

بعد انقلاب البعث في العام 1963، ترك والدي دمشق وانتقل إلى حلب بعد مرور سنوات من مغادرته لمهنة الصحافة، حين أممت الصحافة رسميا في سورية، وكانت صحيفته (الأنباء) التي أسسها مع شقيقه الأصغر نذير، قد طويت بقرار التأميم وأصبحت مكاتبها ملكا لجريدة البعث.

قبيل مغادرته دمشق نقل إليه في حينه بعض أصدقائه القدماء، مَنْ كان منهم متعاونا أو مصادقا لشعارات حكم البعث الجديد، وسلاطينه آنذاك ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، أن رئاسة تحرير صحيفة البعث أصبحت بذات مقر جريدته السابقة، ما عليه إلا أن يعود لرئاسة تحريرها فرفض قائلا بالحرف: "لست من كان ليَنصَب صحافيا بين الأقزام"

وقد كتبت ذات يوم بعيد الى أديب سوريا الكبير زكريا تامر الذي أعلم علم اليقين أنه لم يلتقِه في حياته، بل التقت حروفهم ومدادها على صفحات الجرائد والجدير ذكره أن أديب القصة القصيرة بفكره الحر والمتجدد كان يعمل في مطلع سبعينات القرن الماضي قارئا للنصوص الأدبية والفكرية لدى وزارة الثقافة بدمشق، وهو الرقيب المُقِر آنذاك بالنشر، الذي سمح بتمرير مؤلف والدي الأول الذي أشرت اليه في مقدمة هذا النص، حين رد علي برسالة رقيقة ختمها بقوله: "والدك كان عملاقا في زمن الأقزام".

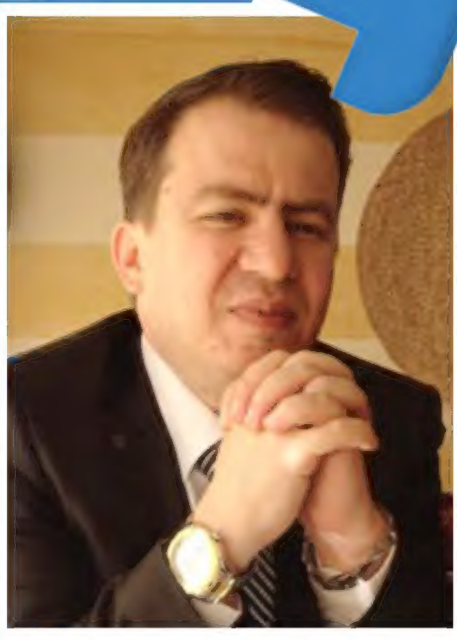

بشير فنصة مع نجم السينما العربية في أربعينات وخمسينات القرن العشرين الفنان أنور وجدي

❞ مضتْ قرونٌ على قومنا حسبوا الخير برمته محصوراً فيهم، وأنّ فضل الله لم يؤته ولن يؤتيه سواهم، وأن عندهم كل شيء، وأن حسن اليقين والتسليم للأقدار يغنيانهم عن تعرُّف كل جديد، اغتروا - ويالضيعة الآمال - بظواهر الحال ذاهبين إلى أنّ الأغيار مهما بلغوا من درجات الرقي بفضل عقولهم، لا يدركون شأوَ سلف هذه الأمة في كل مناحي الحياة، فاكتفوا من ثم بعُلالاتٍ هي بالأطفال أليَق منها بالرجال، وبالأمم المائتة أشد منها بالأمم الحية. ❝

محمد كرد علي

فاصلة

صحافة الزمن المفقود



منذ قال ألبير كامو "الصحفي مؤرخ اللحظة" والصحفيون ينهمكون في تأريخ وقائع زمنهم في كل ما يكتبون خبرا كان أم تحليلا، مقالاً أم تقريراً أم تحقيقاً عن قضية يستطلعون آراء أهلها، أو رحلة يسجلون تفاصيلها ويدونون مشاهداتها. على مر أكثر من قرن ونصف القرن غدت الصحافة مرآة الحياة العربية في عصر ما قبل التلفزيون والفضائيات والانترنت. مدونة الحياة اليومية وسجل هواجس وتصورات وأحلام الكثير من أبنائها ومبدعيها، ممن تركوا لنا أفكارهم حية على الورق ومضوا، فتعتق لون الورق، واستحال الحبر المطبوع ذهباً وتبراً من الكلمات التي تستحق أن تستعاد.

صحيفة (العربي القديم) آمنت بكل هذه القيم وهذا النتاج، فولدت في هذه المساحة المترامية بين ماض زاخر ومتشوق للمعرفة، وحاضر متخم لكنه مازال يلوك أسئلة الماضي.

سنبحث ونقلب في صحافة الماضي، ننتقي ونمحص كي تكون الاستعادة جديرة بالإفادة.. ونشرع أبواب النقاش على قضايا يشترك كتاب من أكثر من جيل اليوم في مناقشتها. فتغدو (العربي القديم) كما نأمل، جسرا بين الأجيال لا بين الأزمنة فقط. لا يحدونا الحنين إلى الماضي وحده، وإن كان هذا النزوع النوستالجي مبرراً في عصر سرقت فيه الكثير من البلدان العربية من أبنائها، ودمرت أو طمست هويتها، فصار التشبث بالهوية استنادا إلى إرث الماضي فعل انتماء، ودفاع عن وجود وارتباط ومستقبل.

إن دافع المعرفة يبقى أكبر من دغدغة مشاعر الحنين للماضي، فهو يتنازع الكثير منا إزاء استيضاح صورته الغامضة. ليس بهدف تقديسه أو التغني به، بل قراءته من أجل معرفة كيف وصل بنا الطريق إلى هنا، وكيف يمكننا صياغة شكل أجمل لحياة تستحق أن تعاش يوما.. وكيف بإمكان هذا الجسر الممتد أن يكون فاصلة نواصل بعدها لا حاجزا يمنعنا من التقدم. نواصل من حيث انتهى الآباء، ومن حيث كتبوا النقطة الأخيرة في مقالاتهم ونصوصهم العابرة إلينا، متحررين في الوقت عينه من عبء القدم وجاذبية الجدة نحو المعنى الأعمق.

محمد منصور



أسمهان على الغلاف الأخير لمجلة المنتدى الفلسطينية الصادرة في الأول من مارس 1946 مع الإشارة لشائعة أنها مازالت على قيد الحياة التي كانت منتشرة في تلك الفترة

يشاع ان اسمهان ما زالت على قيد الحياة ؟!!

أورخان ميسر أديب عربي كبير يتوارى



أورخان ميسر

ان اي انسان خلاق يموت يموت كما يموت كل الناس . بيد انه لا يفني كما يفنى كل الناس .

وموت اورخان ميسر ، اذ لم يكن موتا بالمعنى البشع لهذه الكلمة . وبمعنى آخر لم يكن موته موتا كاملا . ونحن أصدقاء ومريدين وقراء ، لم نفتقده بهذا المعنى كلية . انه ما زال بيننا .. كما كان بيننا منذ عام ١٩٤٧

في ذلك العام طبع اورخان ميسر اول كتاب له (سريال) مجسدا فيه تاريخ نضاله الفكري الطويل . وكان (سريال) آخر ما طبع في الوقت نفسه . بيد ان ذلك لا يعني توقفه عن العطاء وانما كان ينثر افكاره بسخاء ، وكان كالبذار الذي لا يلتفت الى الوراء . العوامل الطبيعية وحدها كفيلة بجعل البذرة تنمو وتزهر .

لقد اعطى اورخان ميسر خلال السنوات التي تلت تاريخ صدور (سريال) وحتى اللحظات الاخيرة من حياته، تلك الحياة المجيدة التي تصدعت وانهارت تحت ضربات المرض العضال ، الكثير مما جعله واحدا من حملة مشاعل الفكر في بلادنا. ولم يكن اتصال حلقات العطاء لديه مستندا الى نزوة عابرة بقدر ما كان ايمانا راسخا في العقل والقلب معا . ذلك لان (بين الحياة وبيننا ، وبصورة خاصة نحن الانسان، معركة وجود، خطوطها الحتمية استمرار في العطاء ولا نهاية)

واما الحياة، في نفسها ، كما يقول : استمرار قوى لا يعرف التوقف ولا يفقه التجزئة .وهي لا يعنيها من امر وجودها بهذا المعنى خطوط التمثل الشكلي (بقدر ما يعنيها التوالد المتجدد اللامتناهي

بمثل هذه النظره الشاملة لقطبي الوجود نحن والحياة ، الحياة في معركتها الدائبة بينها وبين نفسها ، ونحن في حربنا الازلية معها بدءا من نقطة الصفر الى ما هو اكثر اعجازا من الرقم . بمثل هذه النظرة الدقيقة المحكمة ، اعطى اورخان ميسر كل نفسه للفكر والناس

ان هذا الحس بالصراع المؤلم غير المتكافئ ، لم يجعل اورخان انسانا مهزوما او مهزوزا ، ولكنه مع فرط حساسيته، امده بمزيد من الرغبة في تأكيد الوجود . حتى ان ذلك كان سببا في لجوءه الى طريقة املاء افكاره ساعة كبل المرض يديه ومن ثم جعله قعيد فراشه ولم يكن طوال الوقت ليقبل بمساومة قناعة ما تكونت لديه الامر الذي ارتفع الى مستوى الرفض ، ثم التمرد ، ثم ارغم على الاستسلام ..الا ان عينيه بقيتا ، على اية حال ، غير مغمضتين .

ونظرة اورخان ميسر الى مختلف شؤون الحياة لا تهبط من عل وحسب ، ولكنها تخترق اعماقها في الوقت نفسه . تماما كما يفعل العالم حين يقلب الثمرة قبل ان يخضعها لشروط مخبره . وهكذا فان كتاباته لم تتصف بالمسح السريع للاحداث ، ولكنها تخطت الفواصل لتتناول جزءا بعد آخر منها . وبثورة كانما هي ثورة همنغواي التي تحدث عنها ذات مرة قائلا : انها الثورة التي لا تهدأ حتى تبدأ اكثر جدة واشد عنفا تدفع صاحبها الى الخلق والابداع .

تحدث اورخان عن الموت والمأساة ، والمعرفة ، والذهنية العلمية ، والتجربة ، والنفس ، والفن ، والنقد ، والفلسفة ، والموسيقى ، والمحبة ، والتقاليد وعشرات الموضوعات الاخرى . وكان دائما ريشة فنان عريقة يعاني آلام المرأة عند المخاض

لم تكن تنقص اورخان التجربة ليقصر . فقد احاط بشقيها الحسي والذهني معا . هنا اتت قدرته على الرصد كاجود ما يكون الرصد ، ونبع عطاؤه كافضل ما يكون العطاء هذا الذي دعا اليه الف القمرة وفي يقينه ان المعرفة في حدودها المجرده لا تكفي اذا لم يكن ثمة (تجاوب عملي توليدي بين الذهن وبين هذه المعرفة) . ان المعرفة المخزونة في حافظة الانسان دون معها هي (كالمعرفة المخزونة في كتاب ينام على الرف).

ولكن دعوته لم تكن لتقتصر على المعرفة العادية المارة كسحابة صيف غير مثقلة بالمطر . يقول في هذا الصدد: لا بد من تكوين الذهنية العلمية كي يصبح في وسعنا التناغم مع التقدم العلمي العالمي من ناحية ، والتفاعل تفاعلا ايجابيا عميقا من ناحية اخرى مع التطورات الجذرية التي تحققها نهضتنا العربية الحديثة في مجالاتنا الحيوية المختلفة تحقيقا مثمرا خيرا .

ويقول : ان النزوع الى التطور كامن في الانسان منذ ان كان كائنا حيا بسيطا ، ولو لم يحس به كطاقة قوية تدفعه انه لم يكن يعي هذا النزوع ليتبدل ويرقى .

صحيفة (الجزيرة) 1966/3/8